



- قسم: الفلسفة

- تخصص: فلسفة عامة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة عامة

عنوان المذكرة:

أخلاقيات الطب في التراث العربي الإسلامي  
" إسحاق بن علي الزهاوي - نموذجاً "

بإشراف الدكتور:

- أحمد سليمان

من إعداد الطالبين :

- كمال دين

- مسعود لعزراوي

أعضاء لجنة المناقشة

المناقش	الرئيس	المشرف
كمال خابر	رابح بايو	أحمد سليمان



ID: f9v8oc-201490

## Certificat d'analyse de la similarité textuelle

- Nom du document: احلاقيات الملب في التراث الاسلامي.docx
- Soumis par: **BANOUNE Hadda** Enseignant
- Date de soumission: 2025-06-17



### Taux global de similarité

- 4.0% Similarité Forte
- 0.0% Exclu manuellement



### Nombre de sources

- 12 sources internet
- 9 sources Thèses-Algérie
- 0 sources dépôt privé



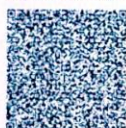
### Passages surlignés

- 16964 mots
- 109596 caractères
- 6.1% de citations

Ce document est un certificat et résumé d'analyse et de détection de similarité textuelle qui peut être utilisé pour l'établissement d'un rapport de plagiat. Il revient à l'examineur, l'encadrant ou bien au comité déontologique de l'université ou de l'école d'émettre un avis quant au statut de plagiat du document analysé.

Consultez l'arrêté N° 1082 du 27 Décembre 2020 fixant les règles relatives à la prévention et la lutte contre le plagiat pour en savoir plus concernant ce qui est considéré comme étant un acte de plagiat, les procédures ainsi que les sanctions.

Signature d'intégrité



Cachet et Signature



قسم الفلسفة

إذن بإيداع مذكرة التخرج بعد التصحيح

نحن الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة عن المذكرة

الأستاذ(ة) المشرف(ة): أحمد سليل

الأستاذ(ة) المناقش(ة): كمال خابر

الأستاذ(ة) الرئيس(ة): م. ربيع جبار

نأذن بإيداع مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر بعد تصحيحها

بعنوان: أخلاقيات الطب في التراث العربي الإسلامي  
«المستحبات» من قبل «الهارمي» طونجا»

و التي أعدها الطالب(ة): كمال ديسين

و الطالب(ة): مسعود لعزير

المسجل بكلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ،ميدان: العلوم الاجتماعية

تخصص: فلسفة عامة

الموسم الجامعي: 2024 / 2025

إمضاء المشرف(ة):

إمضاء المناقش(ة):

إمضاء رئيس(ة) اللجنة:

أحمد سليل

كمال خابر

أ. ب. بورداج

البويرة في: 2025 / 07 / 07

45



إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ \*\*\* فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

## شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، فله الفضل أولاً وآخراً على توفيقه

لنا لإتمام هذا العمل.

يسرّنا أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ المشرف "احمد سليمانى" على إشرافه ومتابعته الدّقيقة لهذا البحث، بفضل توجيهاته القيمة، وملاحظاته البناءة، تمكّنّا من انجاز هذا البحث على أكمل وجه، وجزاه الله عنّا خير الجزاء على ما بذله من جهد ووقت وصبر.

كما لا يفوتنا ان نخصّ إدارة قسم الفلسفة وأساتذتها كل باسمه وعلو مقامه بجزيل الشكر والامتنان، عرفانا بمجهوداتهم المبذولة في تعليمنا وتوجيهنا، نسأل الله أن يجزيهم عنّا خير الجزاء، وأن ينفع بعلمهم.

# إهداء

الى من سمر من أجلي ، وتعبا لتدري عيني ياي النّجاح أبيي وأمي .  
أهدي هذا الجهد المتواضع ، فلنّكما مني كلّ الحبّ والوفاء .

إلى من أضأوا دربي بعلمهم \*\*\* ومن سمروا ليحل الفكر أفكاري  
إلى أمي يا من بذلت دون تعب \*\*\* أهدي هذا الجهد بين السّطر والإيثار  
إلى كلّ مُعلّم ، وأستاذ عبر مراحل تعلّمي ، وتعليمي الأكاديمي  
إلى كلّ الذين أناروا دربي بعلمهم وصبرهم أخضهم بأجمل عبارات  
الوفاء وردّ الجميل .

الى عائلتي الصّغيرة . هذا العمل هو ثمرة صبركم ودعمكم فلنّكم  
مني كلّ الفخر والإمتنان .  
والى كلّ الزملاء والأصدقاء .

- مسعود لعزراوي

# إهداء

إلى :

شَمْسِيَّ الَّتِي قَلَّدْتَنِي وَجُودِي هُنَا \*\* وَمَلَّكَتَنِي مِنْ رِيَاضِ الْمُنَى قُصُورًا  
فَوَرَدَتْ عُيُونُ الْحَيَاةِ، لَمَّا تَوَهَّجَتْ \*\* فَاسْتَقَيْتُ مِنْ نَبْعِهَا كُؤُوسًا حَبُورًا  
وَذَلَفْتُ ظِلًّا سَخِيًّا فِي فَلَاةِ الْوُجُودِ \*\* أَرَى الْأَشْوَاكَ بِيَدَيَا أَحْسَبُهَا زُهُورًا  
فَإِنْ أَفَلَتْ وَعِشْتُ بَعْدَهَا، فَتَبْضِي \*\* لَهَا عَلَى مُضَضِ الرَّحِيلِ وَفِيَّا شُكُورًا  
يُحْيِي ذِكْرُهَا أَمَلٌ لَا يَنْتَهِي صَيِّئُهُ \*\* وَلَوْ أَمْسَى أَصْلُهُ فِي الثَّرْبِ مَقْبُورًا  
لَهَا مِنِّي عُمْرُ الْخُلُودِ وَرَشَفَاتُ كَافُورٍ \*\* إِذَا مَا الظَّنَى أَلَمَ هَوَّنَتْ عَنْهَا فُتُورًا  
وَذَاكَ الْقَمَرُ الَّذِي كَمْ ذَا اهْتَدَيْتُ بِهِ \*\* فِي حَيْرَةِ الدُّنْيَا وَاقْتَبَسْتُ مِنْهُ نُورًا  
وَتِلْكَ الْكَوَكِبُ الَّتِي أَلِفْتُ طَوْقَهَا \*\* حَوَالِيَّ يُتَوَجَّعُ عُمْرِي بِهِجَاةً  
وَسُرُورًا

وَلِكُلِّ مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيَمْهَدُ دَرَبَهُ \*\* يَحْمِلُ الْأَقْلَامَ يَمْدُ لِلْقَارِئِينَ جُسُورًا.

أُمِّي، وَأَبِي، وَإِخْوَتِي،... وَطَالِبُوا الْعِلْمِ.

ولعائلتي الصَّغيرة ما لم تَجِدْ به السُّطُورَ، وما يَظَلُّ فِي الْقَلْبِ وَفُورَ، وَكُلُّ الشُّكْرِ

وَالِإِمْتِنَانِ عَلَى مَدَى الدُّهُورِ لِصَبْرِهِمْ وَدَعْمِهِمْ لِي فِي إِنْجَازِ هَذَا الْعَمَلِ.

- كمال دين -

## مقدمة:

تعدّ الأخلاق المحور الأساسي لبقاء الأمم، وتقدم المجتمعات ودوام استمراريتها، ولا يمكن فصلها عن الحياة اليومية، باعتبار أنّ المبادئ الأخلاقية من أهم القواعد المنظّمة للسلوك الإنساني، وتسهم في تحقيق التوافق الاجتماعي والاستقرار النفسي. كونها المرجع الذي يُحتكم إليه في تمييز الأفعال والسلوكيات سيئها من حسنّها، لهذا فإنّ صلاح المجتمع إنّما هو انعكاس لصلاح واستقامة سلوك الفرد، يدلّ هذا على مدى الالتزام بالمبادئ الأخلاقية وتطبيقها عملياً في الواقع.

ونظراً لتدهور الأخلاق وانحلال القيم الذي تشهده المجتمعات المعاصرة، والذي أثر سلباً على مختلف مجالات الحياة المهنية؛ يصبح من الضروري التّدخل العاجل لاقتراح حلول مناسبة لمعالجة الاختلالات الأخلاقية التي ظهرت على السّاحة المهنية. يتطلّب هذا الأمر جهوداً مشتركة لتحديد الأسباب، والعمل على تصحيح المسار بما يضمن استعادة القيم الأخلاقية، وتعزيزها في جميع المجالات المهنية.

وبما أنّ مهنة الطبّ من المهن السّامية، التي تتطلّب نبلاً وأمانة من ممارسيها، وتُحتّم عليهم تكريس كل إمكانياتهم العلمية ومعارفهم الطّبية، وأوقاتهم لخدمة المرضى وتقديم الرّعاية الصّحية لهم، ولبلوغ الغاية المنشودة الملقاة على عاتقهم؛ يجتهد الأطباء باستمرار على تطوير قدراتهم العلميّة، وتوظيف مهاراتهم الطّبية، بالاستفادة من أحدث النّظورات العلمية والتّكنولوجية؛ لأجل تقديم أفضل رعاية صحية للمرضى.

في ظلّ هذه الوتيرة السّريعة للتّقدم العلمي، والتطوّر التّكنولوجي الحاصل في علوم الطبّ، ظهرت في المجتمع المعاصر جملة من الممارسات اللاأخلاقية من بعض الأطباء لأغراض نفعيّة تلبيةً لمصالح شخصية، أو خدمة لتوجّهات أيديولوجية، متجاوزين في ذلك كل الآداب والأخلاق المهنية، غير مباليين بالتزامات الواجب المهني، ونداء الضمير الأخلاقي.

وما المخالفات والتجاوزات الطبيّة التي تحصل في عصرنا، مثل إسقاط الأجنة، والتحوّلات الجينية، والمتاجرة بالأعضاء البشرية... الخ إلاّ دليل على تجاوز الأخلاقيات الطبيّة؛ لذلك بات من الضروري أن يُحاط الطبيب بمجموعة من الالتزامات الإنسانية، والواجبات الشرعية، والآداب الأخلاقية التي تجعله تحت مجهر الرقابة، والمتابعة الأخلاقية والقانونية أثناء ممارسة مهنته الطبيّة.

وبالعودة الى التاريخ الإنساني نجد أنّ فكرة الأخلاق الطبيّة ليست وليدة الحاضر، بل هي مُتجذّرة منذ القدم، فقد أشار إليها أطباء الحضارات القديمة، ورواد الفكر الفلسفي، وأسّس لها منظرو القوانين الوضعية، وتضمنتها الشرائع الدينيّة كقواعد أخلاقيّة إرشاديّة متعلّقة بالجوانب الإنسانية.

وإسقاطا على واقعنا المُعاش كشعوب عربيّة إسلامية، فقد برزت مشكلة الأخلاق في المجال الطّبي إلى الواجهة من جديد ب بروز العديد من القضايا اللاأخلاقية، والآثار السلبية الناجمة عنها؛ لذا كان من الأهمية بمكان البحث عن ضوابط أخلاقية يجب على الطّبيب أن يحترمها ويتقيّد بها؛ لذلك وُلّي موضوع أخلاقيات الطّب بالبحث وفيض الاهتمام في التّراث العربي الإسلامي من قبل علماء وأطباء أسهموا بكثير من المؤلفات التي تناولت آداب ومبادئ أخلاقيات الطّب. وضمن هذا السياق يندرج موضوع بحثنا الذي نحاول فيه تبيان أثر وإسهامات أبرز الأطباء الذين تناولوا هذا الموضوع، تحت عنوان "أخلاقيات الطّب في التراث العربي الإسلامي" وتحديدًا عند "إسحاق بن علي الرّهّاوي" كنموذج للدراسة.

إنّ لموضوع أخلاقيات الطّب أهمية كبيرة، باعتبار أنّ مهنة الطّبيب لا تقتصر على كونها عملا يقوم به أيّ طبيب من أجل الكشف عن الأمراض التي تصيب الإنسان وتقديم العلاج المناسب؛ بل هناك أخلاق يجب أن يتحلّى بها الطّبيب، وآداب من ضروري أن يتقيّد بها في مجال مهنته، ؛ لهذا رأينا أنه من الواجب أن يُعنى هذا

الموضوع بأهمية الدراسة، وعمق الإهتمام، وتبسيط الضوء على الأهداف المُتوخاة من هذه الدّراسة التي من بينها :

أولاً: إبراز مكانة مهنة الطّب، وضرورة الالتزام بقواعد أخلاقية تضبط مهام العاملين بها.

ثانياً: معرفة أهم القواعد والضوابط الأخلاقية التي يتوجب التّقيّد بها في ميدان الطبّ، لاسيما في التّراث العربي الإسلامي.

ثالثاً: الوصول من خلال الدّراسة إلى عمل مقارنة بين أخلاقيات الطب في التّراث العربي الإسلامي، ونظيرتها في الفكر الغربي.

ويتمثّل هدف هذا البحث في استكشاف أخلاقيات الطبّ في التراث العربي الإسلامي، مع التركيز على الطّبيب إسحاق بن علي الرّهاوي كنموذج. هذا الموضوع يكتسب أهميته من خلال الحاجة الملحة لتوضيح القيم الأخلاقية التي يجب أن تحكم مهنة الطّبيب خاصة في ظلّ التّحديات المعاصرة التي تواجهها هذه المهنة.

والبحث الفلسفي لا يمكن أن يكون عميقاً وناجحاً دون توضيح المنطلقات والطّموحات والدّوافع التي تقف وراءه. ضِمّن هذا السياق؛ هناك عدّة مسوّغات ودوافع دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، وتنقسم هذه الدّوافع الى دوافع ذاتية وأخرى موضوعية.

#### أ - الدّوافع الذاتية:

**1- الأهميّة الإنسانيّة:** موضوع أخلاقيات الطبّ يمتلك أهميّة إنسانية كبيرة، حيث يتعلق بسلامة وصحة الافراد، ورغبتنا في الكشف عن جوانب جديدة في هذا الموضوع تعكس التزامنا بفهم أعمق للقضايا الأخلاقية الطبية التي تهمّ الإنسانية.

## 2- أهمية أخلاقيات الطب للطبيب والمريض: أخلاقيات الطب تمثل قيمة كبيرة

للطبيب والمريض على حدّ سواء؛ حيث تحدّد المبادئ التي يجب أن تسترشد بها العلاقة بينهما، والرغبة في تعزيز القيم الأخلاقية وتحسين الممارسة الطبية.

## 3- الرغبة في التعرف على الفكر الأخلاقي الطبي عند إسحاق بن علي الرهاوي:

هناك دافع شخصي قويّ يتمثّل في رغبتنا في التعرف على فكر إسحاق بن علي الرهاوي في مجال أخلاقيات الطب وآدابه، خاصة في ظل التراجع الملحوظ في القيم الأخلاقية لممارسي مهنة الطب.

ب - الدوافع الموضوعية: هناك دوافع موضوعية دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

1 - ضمان جودة الرعاية الصحية وفعاليتها: وتتمثل في مراعاة مصلحة المريض، وعدم الإضرار به ممّا يضمن أن يكون العلاج آمناً وفعالاً، مع الاستخدام الأفضل للوسائل والموارد الطبية بشكل عادل، وضمان عدم إهدارها في إجراءات غير ضرورية وغير فعّالة؛ من أجل تحسين النتائج الصحية، وتقديم أجود الرعاية الصحية للمرضى.

2 - حماية حقوق المرضى وحفظ كرامتهم: وذلك بإشراك المريض في اتخاذ القرارات الخاصة بصحته، والحفاظ على سرية معلوماته الشخصية وعدم إفشائها بدون تصريح منه قصد توطيد العلاقة الطبية، وتعزيز الثقة المتبادلة بين الطبيب ومريضه.

3 - مواجهة التحديات المستجدة : في ظلّ التطور السريع الذي عرفته العلوم الطبية برزت الى الواجهة عدة قضايا طبيّة معاصرة تطرح تساؤلات حول أهمية الاخلاقيات الطبية مثل : التلقيح الاصطناعي، قضية الاجهاض والقتل الرحيم، وقضية الاستنساخ والتحول الجيني...الخ؛ ممّا يستدعي توفر اطار أخلاقي ينظّم هذه القضايا، ويمنع استخدامها في قضايا لا إنسانية .

**4 - تنظيم الممارسات الطبية والبحث العلمي:** يندرج ضمن هذا وضع معايير وقوانين أخلاقية تنظم المهن الطبية، وتضمن نزاهة البحث العلمي، وسيره وفق مبادئ صارمة تمنع التزوير والتلاعب بالنتائج الطبية؛ من أجل تحقيق الشفافية والأمانة العلمية.

**5 - وضع اطار قانوني أخلاقي للقرارات الصعبة:** تعرف الممارسات الطبية عدة حالات يصعب فيها اتخاذ القرار المناسب دون اللجوء الى إطار قانوني أو الى مبادئ أخلاقية تساعد الأطباء والمرضى على اتخاذ قرارات مدروسة ومبررة.

**6 - الحفاظ على نزاهة مهنة الطب:** من خلال تعزيز القيم الأخلاقية كجزء أساسي من تعليم وتدريب الأطباء والعاملين في القطاع الصحي، ووضع معايير للسلوك المهني في التعامل مع المرضى والزّملاء، ومكافحة الفساد والممارسات غير الأخلاقية.

هذه الدوافع الذاتية والموضوعية مجتمعة مع بعضها البعض، تعكس أهمية موضوع بحثنا وضرورته في فهم أخلاقيات الطب في التراث العربي الإسلامي، وتعزيز القيم الأخلاقية في مهنة الطب.

من هذا المنطلق خلصنا إلى طرح إشكالية مركزية بخصوص التجربة الأخلاقية في الفكر العربي الإسلامي في مجال الطب وآدابه؛ تم صياغتها على النحو التالي:

– هل يمكن اعتبار أخلاقيات الطب عند اسحاق بن علي الرّهاوي مرجعية يمكن اعتمادها في التنظير لأخلاقيات الطب؟. وما الإضافة التي قدّمها في موضوع أخلاقيات الطب وآدابه؟.

هذه الإشكالية المركزية تتدرج تحتها جملة من التساؤلات الفرعية سوف نتطرق إلي استعراضها، ومناقشتها والإجابة عنها في محتوى الفصول، ويمكن طرحها على الشكل التالي:

- ما مفهوم الطب لغة واصطلاحاً؟.
  - ما المقصود بأخلاقيات الطب؟.
  - ما أهمية أخلاقيات الطب؟.
  - ما المسار التاريخي لتطور أخلاقيات الطب؟.
- وإذا كان إسحاق بن علي الزهاوي واحداً من بين الأطباء الذين أدلوا بطرحهم وأفكارهم في هذا الموضوع من خلال كتابه "أدب الطبيب".
- فما إسهاماته في هذا المجال؟، وما هي أوجه المقارنة بين أخلاقيات الطب في التراث العربي الإسلامي، ونظيرتها في الفكر الغربي؟ وما يمكننا أن نضيفه من توصيات؟.

ويعتبر اختيار المنهج الملائم لموضوع البحث أمراً ضرورياً، لذلك اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المناهج العلمية، التي تتناسب مع طبيعة الموضوع وأبعاده الفلسفية وهي كالتالي:

**1 - المنهج النقدي:** يظهر في بحثنا من خلال تقييم الأفكار والمعلومات بشكل موضوعي، بالإعتماد على الأدلة والبراهين من أجل الوصول إلى استنتاجات دقيقة وموثوقة.

**2 - المنهج التحليلي:** نهدف بموجبه إلى تفكيك وتحليل الأفكار والنظريات المتعلقة بأخلاقيات الطب، وتفسير مدلول المفاهيم وتحليل علاقاتها في السياق الطبي.

**3 - المنهج المقارن:** يتجلى من خلال إجراء مقارنة بين أخلاقيات الطب في التراث العربي الإسلامي، والفكر الفلسفي الغربي، وبالأخص في أوجه التشابه والاختلاف. وللإجابة عن الإشكالية المحورية، وتساؤلاتها الفرعية رسمنا منهجية لهذا البحث اشتملت على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

**المقدمة:** وتضمنت تمهيدا للموضوع، والنظرة لأهمية هذه الدراسة وأهدافها، مع الإشارة إلى دواعي وأسباب اختيار هذا الموضوع، وضبط إشكالية البحث الأساسية وتساؤلاتها الفرعية، كما تمت الإشارة إلى المنهج المناسب لهذا الموضوع، وبعض الصعوبات التي اعترضت جهود البحث، مع الإشارة إلى خطة البحث المتبعة.

تناولنا في **الفصل الأول** "مفهوم أخلاقيات الطب، وتطورها التاريخي"، أردنا من خلاله تبيان أهمية أخلاقيات الطب وسياق تطورها التاريخي، حيث قسمناه إلى بحثين. تناولنا في المبحث الأول مفهوم الطب لغة واصطلاحاً، مع مفهوم أخلاقيات الطب، وأهميتها؛ أما في المبحث الثاني فتناولنا المسار التاريخي لتطور أخلاقيات الطب، مع الإشارة إلى بعض آداب أخلاقيات الطب عند الرازي.

وفي **الفصل الثاني** تطرقنا إلى "أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي" كنموذج في هذا البحث، حيث قسم هذا الفصل إلى أربعة مباحث تطرقنا في المبحث الأول إلى التعريف بشخصية الطبيب الرهاوي حياته (المولد والنشأة)، عصره، ثقافته، ومؤلفاته.

وفي المبحث الثاني تناولنا مبادئ الطبيب عند "الرهاوي" (الآداب الأمانة والاعتقاد)، ثم في المبحث الثالث تطرقنا إلى شروط ممارسة الطب عند الرهاوي، وفي الرابع تعرضنا لواجبات وحقوق الطبيب في تصور "الرهاوي".

أمّا في **الفصل الثالث** فسُلّط الضّوء على إجراء "مقارنة بين أخلاقيات الطّب في التّراث العربي الإسلامي ونظيرتها في الفكر الغربي"، حيث تناولنا في المبحث الأوّل مقارنة من حيث الطّبيعة والمصدر، وفي المبحث الثاني مقارنة من حيث الخصائص، أمّا المبحث الثّالث فأشتمل على عدّة توصيات عامّة تخصّ أخلاقيات الطّب مُستقاة من المدونة الدّولية لأخلاقيات الطّب، والميثاق الإسلامي العالمي للأخلاقيات الطّبية والصّحية.

وفي **خاتمة** البحث قدّمنا حوصلة لأهم أفكار إسحاق بن علي الرّهاوي ومن سبّقه الى تناول آداب وأخلاقيات الطّب، مع الإشارة الى حدود التّمايز بين الاخلاقيات الطّبية الإسلامية والغربية.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذا البحث نجد في مقدّمها كتاب "أخلاق الطّبيب" لأبي بكر الرّازي، وكتاب "أدب الطّبيب" لإسحاق بن علي الرّهاوي، وكتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، والمدونة الدّولية والميثاق الإسلامي العالمي للأخلاقيات الطّبية والصّحية. بالإضافة الى مجموعة من المؤلفات وبعض الموسوعات والمعاجم، والمجلات النّي لها علاقة بالموضوع.

أمّا الصّعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث فتمثّلت في قلة الدّراسات التي تناولت موضوع آداب وأخلاقيات اطّب عند إسحاق بن علي الرّهاوي تحديداً، بالإضافة الى عدم وفرة المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع، باستثناء المؤلفات التي ركّزت على استظهار المعارف والجانب العلمي، والتّفوق العملي في ميدان الممارسة الطّبية، بدلا من التّركيز على المبادئ الأخلاقية، بالإضافة إلى صعوبة الأسلوب اللّغوي الذي وظّفه اسحاق بن علي الرّهاوي في عرض أفكاره.

# \* الفصل الأول \*

مفهوم أخلاقيات الطب، وتطورها التاريخي.

المبحث الأول: مفهوم الطب وأخلاقياته.

المبحث الثاني: التطور التاريخي لأخلاقيات الطب.

### المبحث الأول: مفهوم الطب وأخلاقياته.

الصّحة والمرض مفهومان متضادّان، ولما كانت الصّحة غاية كل البشر، والمرض عائق في تحصيلها، استوجب ذلك البحث والتّفكير المستمر عن طرق للحدّ أو القضاء على عائق المرض والأوجاع التي تصيب النّفس والبدن، ولعلّ أهم علم اهتم بصحة الانسان وعافيته هو علم الطبّ، الذي تعود ممارساته الى الحقبة التاريخية التي شهدت حياة الإنسان الأول، الذي سعى بما لديه من إمكانيات ذلك العصر الى تخفيف الآلام من خلال التّداوي بالنبّاتات والأعشاب الطّبيّة، وطرق أخرى امتزجت بالسّحر والخرافة، وإرجاع أسبابها الى أمور غيبيّة في كثير من الأحيان، الى أن تطوّرت طرق العلاج ببروز العلم الطّبي على يدّ علماء وأطباء دأبهم البحث والتّقصي؛ لكشف أسباب الأمراض المستعسرة، بفضل دراساتهم العلمية النّظرية والتّطبيقية المدعّمة بالتّجارب المخبرية، لهذا السبب عدّ الطبّ من أكثر العلوم إجلالا واحتراما، فما مفهوم الطبّ؟.

#### - المطلب الأول: مفهوم الطبّ لغة، واصطلاحا.

أ - الطبّ لغة : مصطلح الطبّ مشتقّ من الفعل طَبَّ، طَبَّبَ، الطَّبُّ، ومعناه في اللّغة "علاج الجسم والنّفس" (1).

يقال رجلٌ طِبّ، وطبيبٌ عالمٌ بالطّب، والمُتَطَبِّبُ هو الذي يتعاطى علم الطبّ، وإذا مرض الشّخص، نقول عنه تَطَبَّبَ له، أو بحث عن الشّفاء، بمعنى سألوا له الأطباء.

نقول جمعُ القليل أطبّة، والكثير أطباء، ويقال إن كنت ذا طِبٍ فطِبْ لِنَفْسِكَ، أي ابدأ بإصلاح نفسك (2).

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول أ . نشر أدب الحوزة، إيران، 1405هـ، ص 553.

<sup>2</sup> - ابن منظور، المرجع نفسه، ص 553.

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فرأى بين كتفيه خاتم النبوة، فقال: إن أذنت لي عالجتها فإني رجلٌ طيب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «الله الطيب، بل أنت رجل رفيق، طيبها الذي خلقها»<sup>(1)</sup>، ومعنى هذا الحديث أن الله هو الذي خلقها وبملك زمامها لا أنت، وقوله بأن "الله الطيب" يعني أن الله عز وجل هو الشافي والمُعافي، وقوله بل أنت رجل رفيق، يعني تُرفق بالمريض وتسعى لتسكين أوجاعه بما تستخدمه من أدوات المعالجة.

ويقال في اللغة: جاء يستطب لوجعه، أي يستوصف، أو يطلب الدواء لدائه، والطبيب هو الرجل الحاذق الماهر بعلمه، كما كان لفظ الطب يشير إلى السحر، والرفق بالحال، وفن العلاج، ومنه يقال: رجلٌ مطبوب أي مسحور، وكَنُوا بالطب عن السحر تفاؤلاً بالبرء والشفاء<sup>(2)</sup>.

والمقصد من مضمون هذا الكلام أن علم الطب اختصاص له أهله، وفنٌ علاجيٌ يقتصر على خاصّة من الناس تضلّعت فيه.

وخلاصة القول أن مفهوم الطب في المعاجم اللغوية، يعرف بأنه المعرفة العلميّة بالقواعد والقوانين الطبيّة، التي يتم استخدامها لتشخيص الحالات المرضية، وتأثير الأدوية عليها.

## ب - الطب اصطلاحاً:

أمّا الطب في الاصطلاح فيعني فنّ العلاج، وهو العلم أو المجال الذي يهتم فيه الطبيب بصحة الإنسان الجسدية والنفسية، وكيفية التعامل معها من خلال العلم بكافة القواعد الصحيّة، والنظر إليها من منظور القوانين الطبيّة المتعارف عليها في علم الطب بطريقة علميّة ونظرية.

<sup>1</sup> - أبو داود سليمان ابن الأشعث بن اسحاق، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج4، رقم الحديث 4207، ص 86.

<sup>2</sup> - ابن منظور، المرجع السابق، ص 554.

ويعرفه ابن سينا في كتابه القانون في الطب بقوله: «إنَّ الطبَّ علم يُتعرَّف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصَّحة، ليحفظ الصَّحة حاصلة ويستردّها زائلة»<sup>(1)</sup>.

من كلام ابن سينا نفهم أنَّ الطبَّ علم، يهتم بصحة الإنسان وعافيته، ليحفظها من جميع الأمراض والأسقام التي تصيبها سواء من النَّاحية الجسدية أو النَّفسية، ويقدم العلاج اللازم في حال ظهور أعراض العلل الدَّالة على وشوك زوال الصَّحة.

وعرفه ابن رشد الحفيد بقوله: «وهو علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يعرض لها من صَّحة وفساد»<sup>(2)</sup>.

نستنتج من هذين التعريفين أنَّ الطبَّ علم يهدف إلى المحافظة على صحة الأبدان من خلال الكشف عن علل الأمراض، وتقديم العلاج المناسب لها، وكل من يتخصص في علوم الطب وموضوعاتها يسمى طبيباً.

— المطلب الثاني: مفهوم أخلاقيات الطب.

أخلاقيات مهنة الطب هي تلك القواعد والقوانين الأخلاقية الضَّابطة لسلوكيات الأطباء، والمرضى والموظفين في سلك الطب؛ التي يجب عليهم إتباعها أثناء ممارستهم لمهنتهم، وتشمل هذه الأخلاق المبادئ والقيم التي تنظم التفاعل بين الأطباء والمرضى والمجتمع بشكل عام، وتهدف هذه المبادئ إلى ضمان الرِّعاية الصَّحية

<sup>1</sup> - الحسين بن علي بن سينا، القانون في الطب ج1، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1999، 1، ص13.

<sup>2</sup> - محمد بن المختار بن محمد الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، جدة الشرقية، ط2، 1994، ص32.

للمرضى، مع الحفاظ على مستوى عالٍ من النزاهة والصدق واحترام استقلالية المريض<sup>(1)</sup>.

كما يمكن القول أنّ هذه المبادئ والقوانين الأخلاقية تعدّ أساساً للسلوك المطلوب لأفراد المهنة، بموجبها تُقيّم أداء الطبيب إيجاباً وسلباً، كما تعدّ أهم المعايير الرئيسة والقواعد الهامة التي تخص تعديل السلوكيات المهنية للموظف، وظيفتها على أساس وازعه الأخلاقي المهني، الذي يكون موجهاً له بشكل دائم نحو السلوك القويم، متمثلاً في قسم الطبيب جاهداً في حفظ الصحة وخدمة الإنسانية.

ومصطلح الأخلاقية يعبر عن الصفات الأخلاقية الحميدة، مثل الخير والرّفاهية، والعدالة في المجتمع، والأخلاقية توحى بوجود نوع من الوعي، ولها دلالة إيجابية في الحياة الاجتماعية، تتضمن معاني التّقدم الحضاري وتطور المجتمع الإنساني، وامتناله للقيم المعبرة عن المثل العليا<sup>(2)</sup>؛ بالنّظر الى ما تحمله من قواعد للحياة الجماعية، وما يصحبها من معايير متجدّدة تظهر علاماتها في سلوك الأفراد والجماعات، وواجباتهم نحو بعضهم البعض، ونحو المجتمع الذي ينتمون إليه، وهي ميزة نوعيّة تعبر في مضمونها عن جودة التّشكيل الروحي والإيديولوجي والسيكولوجي في هيكل المجتمع، وهي ليست وليدة المرّة، بل لها خاصية التّجدّد والاستمرارية حسب ما تقتضيه المبادئ الإنسانية<sup>(3)</sup>.

ويعود تاريخ مفهوم الأخلاقية إلى ما قبل ظهور الدولة والقانون، تحت تأثير النّظم الإقتصادية والاجتماعية، والمصالح الطبّية التي كانت تحكم الحياة اليوميّة للمجتمعات، ويتضمّن مفهومها تقييم الفعل الإنساني، فمتى كان الفعل الإنساني خيراً

<sup>1</sup>- أمير محمد المدري، أخلاقيات المهن الطبية، معهد العلوم والتكنولوجيا التطبيقي، المهرة، اليمن، ط1، 2022، ص32.

<sup>2</sup> - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1982، ص52.

<sup>3</sup> - ب. يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة بيروت، ط1، 1985، ص14.

يمكننا وصفه بأنه سلوك أخلاقي، وإذا كان الفعل الذي يصدر عن الإنسان شراً، أمكننا وصف هذا السلوك بأنه فعل لا أخلاقي<sup>(1)</sup>.

تحتل المبادئ الأخلاقية قيمة عالية، وتحظى بالأهمية كونها تساهم في تماسك العلاقات الإجتماعية وتجعلها أكثر إنتظاماً وإنسانية، وتنقلّص دائرة الإحتكام إلى النظم الإدارية في ظلّ وجود القيم الأخلاقية والضوابط الإجتماعية.

### — المطلب الثالث: أهمية أخلاقيات الطب.

تكمُن أهمية الأخلاقيات الطبية في كونها توجّه العاملين في مجال الرعاية الصحية كل في اختصاصه، الى التعامل مع المشكلات والعقبات الأخلاقية التي قد تعترضهم في ميدان عملهم، برؤية استشرافية، مُسترشدين في ذلك بمعايير أخلاقية سامية، تحافظ على صحّة المرضى، مسلّطة الضوء في تأثيرها على منع الإستغلال، والتّمييز بين المرضى على أساس العرق أو الدّين، أو الجنس أو الحالة الإجتماعية، وتعزّز احترام رأي المريض واستقلاليته في إتخاذ القرارات المتعلقة بصحّته<sup>(2)</sup>، كما تضمن مبادئ الرعاية الصحية وعدم إيذاء مرضاهم بالقول أو الفعل، قصداً أو سهواً، وبموجبها تتوطّد الثقة بين المريض والطبيب، إذ تسود الشّفافية في المعاملة الطبية، ويُتجنّب الخداع المُزعزع لهذه الثقة، بالإضافة الى دورها الفعّال الدّاعي الى العدالة والإنصاف في توزيع الموارد الماديّة، وتكافؤ فرص العلاج للجميع، بغض النظر عن القدرة الماليّة للمريض، ومكانته الإجتماعية.

وتتجلّى أهميّتها أكثر في جانبها القانوني الذي يخضع له موظفوا الرعاية الصحية، لأنّها تعدّ من أهمّ المعايير الأساسية والقواعد الهامّة، التي تعدّل وتضبط السلوكيات المهنية للموظف، على أساس الوازع الأخلاقي المهني، مع التّطبيق الحرفي

<sup>1</sup> - ب. يودين، المرجع السابق، ص 13.

<sup>2</sup> - جون ويليمز، كتاب الأخلاقيات الطبية، ترجمة محمد الصالح بن عمار، جمعية الطب العالمية، 2005،

لهذه القواعد على الوجه الأكمل، وتحديد المسؤوليات والمهام من أجل عدم التعدي على اختصاصات الآخرين، وتقلل من إمكانية التقصير في الأداء الوظيفي للمهنة، وتنزيهه من شائبة السلوكات السلبية<sup>(1)</sup>.

### المبحث الثاني: التطور التاريخي لأخلاقيات الطب.

لو تصفحنا كتب التاريخ المتحدثة عن الطب وأخلاقياته، لوجدنا أن الاهتمام بموضوع أخلاقيات الطب بالغ الأهمية، فهو ليس وليد العصور الحديثة، بل تتجذر الدراسات في هذا المجال تاريخيا منذ العصور القديمة؛ حيث كان اهتمام مختلف الأمم والمجتمعات بتنظيم مهنة الطب، فقد أرسو مجموعة من القوانين والقواعد الأخلاقية التي تضبط الممارسات الطبية عبر التاريخ، ونحن هنا بصدد تسليط الضوء على مراحل تطور أخلاقيات الطب عبر المسار التاريخي للأمم، بدءا بالحضارة المصرية القديمة التي نجد فيها إرهاصات للأخلاق الطبية في البرديات ذات الصلة بالطب<sup>(2)</sup>.

### - المطلب الأول: أخلاقيات الطب في الحضارة المصرية القديمة.

لقد ارتبط إهتمام المصريين القدامى في الطب بأعمال الكهانة والسحر، إذ كان اعتقادهم ببقاء الأجساد وخلودها وإعادة الأرواح إليها، مما دفعهم للبحث عن طرق من أجل حفظ جثث الموتى، فأوجدوا التحنيط الذي برعوا فيه على غير سواهم من الأمم، مما أعطى إنطبعا بمهارتهم في الطب والجراحة، حيث كانت تمنح أجور خاصة لكهنتهم الأطباء<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - أمير محمد المدري، المرجع السابق، ص33.

<sup>2</sup> - إسلام محمود أحمد، أخلاق مهنة الطب عند مذهب الدين ابن هبل البغدادي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ص2.

<sup>3</sup> - عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي، 2014، ص7.

وذكر أرسطو أنّ شريعة المصريين كانت تمنع الأطباء من تحريك أخلاط الأدوية قبل اليوم الرابع، فإذا خالفوها ومات المريض عوقبوا بالموت قصاصا لهم<sup>(1)</sup>. وقد ظهر في مصر "أمنحوتب" الطبيب المهندس الذي عاش في حوالي 2800 سنة قبل الميلاد، فقد بجله المصريون القدّامى إلى درجة الألوهية، حيث وضع لهم الكثير من أخلاقيات الطب وعلومه، ووضع لهم كتابا أوجب على الطبيب الكاهن أن يتبعه؛ فإن خالفه عوقب عقوبات شديدة، ومن الأمثلة على ذلك أنّه منع الإجهاض، أو إعطاء أدوية وعقاقير تضرّ بالجنين، وكان يُشترط على الطبيب الكاهن أن يحافظ على نظافته الشخصية بالإغتسال مرّتين نهاراً، ومرّتين ليلاً، ويرتدي ثياباً بيضاء، وأن يقصّ شعره وأظافره كل ثلاثة أيام في إطار تأدية مهامه<sup>(2)</sup>.

أمّا الحديث عن أخلاقيات الطب عند قدماء المصريين فقد كانت من أهم الأسرار التي يحتفظ بها الكهنة ويعلمونها لأبنائهم وخلفتهم، ويجب على الطبيب أن يسير على منهج الكتاب المقدّس في الطب عندهم<sup>(3)</sup>.

ويتّضح أن الأخلاق الطّبية في الفكر المصري القديم حضيت باهتمام بالغ، رغم كونها من اختصاص الكهنة والسّحرة، إلا أنّ الاهتمام بها انصبّ حول ما يلي :

أ - الإجتهد في ربط الممارسات الطّبية بالسّحر والشعوذة والطقوس الدّينية، إذ كان الكهنة هم علماء الطب في عهدهم.

ب - إحتلت أخلاقيات الطب عند المصريين القدماء مكانة هامّة، فقد فرضوا التزامات أخلاقية على ممارسي مهنة الطب، منها تحمّل المسؤولية الطّبية، وأيّ تقصير من طرف الطّبيب يؤدي إلى عقوبته.

<sup>1</sup> - عيسى إسكندر المعلوف، المرجع نفسه، ص8.

<sup>2</sup> - محمد علي البار وآخرون، موسوعة أخلاقيات مهنة الطب، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ط1، 2012، ص7.

<sup>3</sup> - محمد علي البار وآخرون، المرجع نفسه، ص8.

ج) - رغم الممارسات الطبية التي كان يمارسها السحرة والكهنة، والمعرفة التي تراكمت عبر عصور متعاقبة، فلا يمكن تجاهلها حتى وإن كان هؤلاء السحرة لا يعرفون مبادئ الطب التجريبي<sup>(1)</sup>.

د) - يظهر تأثير الطب المصري القديم على الممارسات الطبية في الحضارات الأخرى شديد الوضوح، وهذا ما أقرّه ابقراط للطب المصري القديم، من خلال الإعراف بقواعد الصحة العامة والمبادئ العلاجية التي سنّها المصريون القدامى<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من امتزاج الطب في العصور القديمة بطقوس أقرب منها إلى السحر والشعوذة، إلا أنّ مقصدهم كان الحفاظ على النفس البشرية، وإيفائها المزيد من الرعاية الصحية والإحتياط للوصول بها إلى الشفاء .

- **المطلب الثاني: أخلاقيات الطب في بلاد الرافدين.**

تعتبر حضارة ما بين الرافدين (السومريين، والبابليين، والأشوريين) كغيرها من الحضارات القديمة التي أولت إهتماماً بالطب، إذ كان للطب في عصرهم نصيب من الإمتزاج بالأوهام والخرافة والغرابة، وتفسير الظواهر انطلاقاً من ربطها بمنزلة الكواكب، واللجوء إلى التنجيم من أجل التنبؤ بالغيب، حيث كان الاعتقاد السائد أنّ المرض يحدث نتيجة غضب الآلهة، ومن صنع الأرواح الشريرة<sup>(3)</sup>، وكان فحص المرضى يتم من خلال ملاحظة طريقة المشي والكلام، وتحليل ملامح وندبات الوجه وتقاسيمه، وقراءة الطالع والتنبؤ بالفأل السيئ من خلال صورة المواليد المشوهين، بالمقابل كان يتم تشخيص المرض والتنبؤ بتطوراته المحتملة بشفاء المريض، أو موته

<sup>1</sup> - جان شارل سورنيا، تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص، ترجمة ابراهيم البجلاتي، مطابع السياسة، الكويت، 2002، ص19.

<sup>2</sup> - جان شارل سورنيا، المرجع نفسه، ص39.

<sup>3</sup> - كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال، بدون طبعة، ص46.

إِعْتِمَادًا عَلَى تَدْقِيقِ النَّظَرِ فِي أَعْضَاءِ مَعِينَةِ مِنَ الْجِسْمِ، كَالْكَبِدِ وَالرَّئَةِ فِي حَيَوَانَ مَذْبُوح<sup>(1)</sup>.

وَمِنَ الْمَلَاظِ أَنَّهُ فِي حَضَارَةِ مَا بَيْنَ الرَّافِدِينَ كَانَتْ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبٍ لِلْعِلَاجِ الطَّبِّي<sup>(2)</sup>، تَمَثَّلَتْ فِيهَا يَلِي :

**المذهب الأول:** العلاج عن طريق النَّصْحِ أو مَا يَعْرِفُ بِالطَّبِّ الْوَقَائِي.

**المذهب الثاني:** العلاج عن طريق تشخيص المرض ووصف الأدوية المناسبة، النَّبَاتِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ، وَالْمَعْدِنِيَّةِ.

**المذهب الثالث:** يعتمد على العلاج بالسَّحَرِ وَالطَّلَاسِمِ أو مَا يَعْرِفُ حَالِيًا بِالطَّبِّ النَّفْسِيِّ.

وَقَدْ وَجَدَتْ عِدَّةُ شَرَائِعَ فِي حَضَارَةِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ الَّتِي نَظَّمَتْ آدَابَ مِهْنَةِ الطَّبَّيِّبِ، مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ، فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ أَهْمُهَا شَرِيعَةُ "حَمُورَابِي"<sup>(3)</sup> الَّتِي تَضَمَّنَتْ جُمْلَةً مِنَ الْمَوَادِّ تُنْظَرُ لِأَخْلَاقِيَّاتِ مِهْنَةِ الطَّبِّ، نَذَرَ مِنْهَا: «أَنَّ الْجِرَاحَ إِذَا مَا اسْتَعْمَلَ مَشْرُطَهُ وَأَخْطَأَ فِي اسْتِعْمَالِهِ تُقَطَّعَ يَدُهُ، وَإِذَا تَقَاضَى أَكْثَرُ مِمَّا يَسْتَحِقُّ يَعَاقَبُ بِالْحَبْسِ، وَفَرَضَتْ عَقُوبَاتٌ عَلَى الْحَاضِنَاتِ، وَالْمَرَضِعِ اللَّاتِي يَهْمِلْنَ الْعَنَاءَةَ بِالرُّضْعِ»<sup>(4)</sup>، أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَنْظِيمِ أَسْعَارِ الْخِدْمَاتِ الطَّبَّيَّةِ وَأَجُورِ الْأَطْبَاءِ، نَجَدُهُ

<sup>1</sup> - جعفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993، ص 29.

<sup>2</sup> - راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2009، ص 14.

<sup>3</sup> - **حمورابي (Hammurabi):** (توفي عام 1750 ق.م): سادس ملوك بابل (1792-1750 ق.م). وحدَّ ما بين عدد من الدويلات المتناحرة وجعل منها إمبراطورية ذات شأن. ويؤخذ من الرسائل التي كتبها إلى بعض ولَّائِهِ أَنَّهُ أَدَارَ هَذِهِ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةَ بِنَفْسِهِ لَا عَبْرَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْوُزَرَاءِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَشْغُلُ نَفْسَهُ بِأَتَقَهُ الْأُمُورَ. عَرَفَ أَيْضًا بَعْنَايَتِهِ بِنِظَامِ الرِّيِّ، وَلَكِنَّهُ اِشْتَهَرَ أَكْثَرَ مَا اِشْتَهَرَ بِمَجْمُوعَةِ الْقَوَانِينِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ وَالْمَعْرُوفَةِ (بِمُدُونَةِ حَمُورَابِي) وَقَدْ أُكْشِفَتْ فِي سُوسَةِ عَامِ 1901 م. مِنْ كِتَابٍ: [منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، 1992، ص 176].

<sup>4</sup> - راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 14.

مدوّنا في شريعته في القسم التاسع المتعلق بالعقوبات والتّعويض، وغرامات نقض الاتفاقيات والعقود والتعهدات، بدءاً من المادة (215) وحتى المادة (224) (1).

ونستنتج من كل هذا ما يلي:

1- أنّ الطب في بلاد ما بين الرافدين كان يغلب عليه الطابع الكهنوتي والسحر، وأنّ الأمراض الشديدة في تصورهم هي نتيجة غضب الآلهة، وعقوبة عن الذنب المرتكب، أو نتيجة تأثير السحر.

2- مهنة الطب شهدت تطوراً ملحوظاً في حضارة بلاد الرافدين مع قوانين حمورابي، وحددت المسؤولية الطبية على كلّ من يمارس مهنة الطب، فيكون مسؤولاً عن الأضرار التي تلحق بالمريض نتيجة الخطأ الطبي.

3- أولت حضارة ما بين الرافدين الإهتمام بحقوق الطبيب والمريض معاً من خلال تحديد أجره الطبيب، ومراعاة الوضع الاجتماعي والحالة الاقتصادية للمريض بين الغنى والفقر.

#### - المطلب الثالث: أخلاقيات الطب في الحضارة اليونانية.

مما لا شكّ فيه أنّ اليونانيين لم ينطلقوا من العدم في مجال الطب وأخلاقياته، فقد أخذوا الكثير من الحضارات السابقة، لا سيما الحضارة المصرية وحضارة بلاد الرافدين، وزادوا على هذه الحضارات الكثير، خاصة فيما تعلّق بمحاولة عقلنة الطب، ومحاولة إخراجها من دائرة التفسيرات اللاهوتية، والممارسات السحرية والخرافية إلى دائرة التفسيرات العقلية العلمية، إلّا أنّه في بادئ الأمر استعسر عليهم ذلك، إذ نجد أنّ طبيبهم الأوّل "أسكليبيوس" (2) الذي يعدّ الطبيب الأسطوري لليونان، قد مارس السحر والخرافة في معالجته للمرضى، وكان على الطبيب السّاحر أن ينحى منحى خاصاً في

<sup>1</sup> - شريعة حمورابي، ترجمة محمد الأمين، دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، ط1، 2007، ص61.

<sup>2</sup> - أسكليبيوس، (Aesculpius): طبيب يوناني، عاش في القرن السابع قبل الميلاد، وصفه هوميروس في إلياذته بأنه كان طبيباً بارعاً، ارتقى إلى مرتبة الإله بجهوده في الطب. (منير البلعكي، مرجع سابق، ص57).

حياته، ويقوم بأعمال معينة قبل ممارسته الطب من مثل أن يغتسل في أوقات معينة وأن يدهن جسمه بالزيت، وأن يتجنب تناول بعض الأطعمة وبخاصة منها السمك، وأن يصوم في بعض الأوقات، وأن يلبس الملابس الفضفاضة الخشنة، وأن يكون مؤمناً يؤدي عمله بإخلاص وأمانة<sup>(1)</sup>.

نستنتج من هذا أنه رغم عدم تحرر أطباء اليونان الأوائل من قيود السحر والميتافيزيقا؛ إلا أنهم قد وضعوا قواعد أخلاقية يجب أن يتقيد بها الطبيب، ولعل أبرز الأطباء اليونانيين الذين اجتهدوا في تحرير الطب من براثن السحر، وإقامته على قواعد العقل، نجد الطبيب "أبقراط"<sup>(2)</sup>، الذي يعدّ أب الطب الحديث، وأعظم أطباء اليونان في زمانه بلا منازع، ويرجع له الفضل الكبير في تحرير الطب من هيمنة الدين والفلسفة<sup>(3)</sup>، ومحاولة إقامة التفسيرات على أسس علمية محضة.

وإذا أردنا الحديث عن الأخلاقيات الطبية في عهد أبقراط، نلتمس ذلك في قسمه الشهير، الذي يعد مرجعاً أساسياً وقانوناً عاماً ساري المفعول في حيثياته العامة؛ يتوجب على من أراد ممارسة مهنة الطب في ذلك العهد أن يلتزم بما تضمنه، وهذا نصّه: «إني أقسم بربّ الحياة والموت، وواهب الصحة، وخالق الشفاء، وكل علاج، وأقسم بأسكليبيوس... وبجميع الآلهة والآلهات، وأشهدّها جميعاً أن أنفذ هذا القسم، وأوفيّ بهذا العهد بقدر ما تتسع له قدرتي وحكمتي... وسوف أستخدم العلاج لأساعد المرضى حسب مقدرتي وحكمتي، ولكن لا أستخدمه للأذى أو لفعل الشر، ولن أسقي

<sup>1</sup> - ابن أبي أصيبعة، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، تحقيق عامر النجار، دار المعارف، ج1، ط1، 1996، ص24.

<sup>2</sup> - أبقراط، (Hippocrates): (370-460 ق م) ولد في جزيرة كوس في اليونان القديمة، يعتبر من أهم الأطباء في التاريخ، مؤسس مدرسة كوس الطبية، التي كانت واحدة من أولى المدارس الطبية في العالم، فهو حكيم الحكماء وطبيب الأطباء، قدّم في حياته وبعد مماته خدمات جليلة وكبرى لفائدة البشرية في مجال الطب لا تزال إلى يومنا تحظى بالتقدير والإعجاب. [د. مصطفى غالب، أبقراط، منشورات دار مكتبة الهلال، ص5].

<sup>3</sup> - ويل وايزيل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بران، ج2، مجلد2، الكتاب الثالث، بيروت، ص188 و189.

أحدًا السَّمَّ إذا طلب إليَّ أن أفعل هذا، أو أشير بسلوك هذه السَّبِيل، كذلك لن أعطي امرأة وصفة لإسقاط جنينها، ولكّني سأحتفظ بحياتي وفنّي إليهما طاهرين مقدّسين، ولن أستعمل المَبْضَع ولو كنت محقا في استعماله لمن يشكوا حِصاة... وإذا دخلت بيت إنسان أيّا كان، فسأدخله لمساعدة المرضى وسأمتنع عن كل إساءة مقصودة أو أذى معتمد، وسأمتنع بوجه خاص عن تشويه جسم أيّ رجل أو أيّة امرأة، سواء كان من الأحرار أو من الأرقّاء، ومهما رأيت أو سمعت في أثناء قيامي بفروض مهنتي، وفي خارج مهنتي وفي خلال حديثي مع النّاس، إذا كان ممّا لا تجب إذاعته فلن أفشيّه، وسأعد أمثال هذه الأشياء أسراراً مقدّسة، فإذا التزمت نفسي بإطاعة هذا القسم ولم أحنث فيه فإنّي أرجوا أن أشتهر مدّي الدّهر بين النّاس جميعا بحياتي وبفني، أما إذا نقضت العهد وحنثت بالقسم فليحل بي عكس هذا»<sup>(1)</sup>.

كما أنّ أبقرط إلى جانب القسم الذي أدلى به، هناك بعض الوصايا الأخلاقية التي يجب على الطّبيب الإتّصاف بها من مثل قوله: « الطّبيب يجب أن يكون جيّد الفهم، حسن الحديث، صحيح الرّأي، عفيفا، شجاعا، غير محبّ للفضّة، مالكا نفسه عند الغضب، مشاركا للعليل مشفقا عليه، حافظا أسرارهِ، محتملا للشّتيمة »<sup>(2)</sup>.

من خلال القراءة المتفحّصة لهذا القسم نستنتج أنّه بالرّغم من بدائية الحياة في ذلك العصر، وعدم تحرّر العقل البشري كليّة من قيد الوثنية والسّحر، إلّا أنّ أبقرط قدّم للبشريّة عبر العصور أخلاقا راقية، وسما بالطّب إلى مرتبة ذات قيمة ومكانة أخلاقيّة سامية وعظيمة، إذ أنّه أكّد على أن يكون الطّبيب طاهرا محمودا مُتخلّقا، وقد سعى إلى مكافحة علاج المرضى بالسّحر والكهنوت، مركزاً على الجانب العلمي للطّب، حتّى وإن لم يتحرّر كليّة من الآراء والأفكار الفلسفية.

<sup>1</sup> - ويل وايزيل ديورانت، مرجع سابق ، ص 193 و194.

<sup>2</sup> - عبد الله عبد الرازق مسعود السّميد، نشأة الطب، دار الفكر للنشر والتوزيع، ساحة الجامع الحسين، عمان، الأردن، 1985، ص44.

الى جانب إسهامات أبقرط في ميدان الطب وأخلاقياته، نجد جالينوس<sup>(1)</sup> الذي يعتبر من أشهر أطباء عصره؛ حيث أسس للفيسيولوجيا التجريبية<sup>(2)</sup> التي هيمنت على الفكر الطبي الأوروبي، حيث ترك إرثاً علمياً وأخلاقياً في تاريخ الطب إمتد تأثيره الى عدة شعوب في تاريخ البشرية عبر عدة عصور، ولم تقتصر دراساته وأبحاثه على الطب فقط، بل تجاوز ذلك الى الإهتمام بعلوم أخرى كالفلسفة والأدب والبلاغة والأخلاق، إلا أنه كان أكثر ميلاً لعلم صناعة الطب، مركزاً على العناية بالصحة والأسباب المتدخلّة في الحفاظ عليها، يتضح هذا في قوله: «إنّ قصد الطب إلتماس الصحة، وغايته إحرارها، فالطبيب مضطر إلى أن يعلم الأشياء التي تُعيد الصحة إذا فُقدت، والأشياء التي تحفظها إن كانت موجودة»<sup>(3)</sup>.

إمتاز جالينوس بأرائه الصائبة في مجال الطب، والتي عبّر عنها في مؤلفاته التي دامت مرجعاً للأطباء لعدة قرون، حيث أولى إهتماماً بعلم التشريح ووضائف الأعضاء، وهذا دليل على أسبقيته في علم التجريب، حتّى وإن لم يتخلّص هو الآخر من الأفكار الفلسفية المتافيزيقية، إذ يرى أنّ الروح أساس الحياة والجسم أداة لها. ومن أرائه أنّ الطبيب لا يحقّ له مزاوله المهنة إلا إذا كان جامعاً لجوانب الفلسفة الطبيعيّة والمنطقيّة الأخلاقية، حيث اعتقد أنّ التعليم والتدريب ضروريّان، والأمانة والإخلاص أساسيان، والأدب والتّهذّب في المعاملة واجبان لشفاء المريض<sup>(4)</sup>؛

<sup>1</sup> - كلوديوس جالينوس: فيلسوف وطبيب يوناني، ولد سنة 131م، توفي حوالي سنة 200م، ذكر بعض المؤرخين وفاته سنة 218 م، اشتهر بأرائه في الطب، له عدة كتب ومؤلفات طبيّة منها: كتاب في التشريح، في المزاج، في الأدوية المفردة والأدوية المركبة، رسالة الى أغلقن، كتاب الفرق، العلل والأعراض... (إسحاق بن حنين، تاريخ الأطباء والفلاسفة، تحقيق فؤاد سيّد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ-1985م، ص41).

<sup>2</sup> - منير البعلبكي، مرجع سابق، ص156.

<sup>3</sup> - أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي المتطبّب، كتاب جالينوس في فرق الطب للمتعلّمين، تحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978، ص12.

<sup>4</sup> - هناء محمود عبد المجيد محمد، أخلاق الطبيب بين الفكر الفلسفي الغربي والفكر الإسلامي، دراسة مقارنة ضمن مجلة كلية أصول الدين والدعوة، الجزء 4، العدد 40، أسيوط، مصر، 2022، ص18.

لذلك كان له صدًى كبيراً لدى رجال الدين، لأنّ أفكاره الفلسفية وافقت عقائدهم الدينية. وقد إمتدّ تأثير هذه الأفكار والآراء الفلسفية الى الحضارة الإسلامية في شقّ الاعتقاد بوجود الله (1)، لذلك لقيت إستحساناً من قبل الفلاسفة المسلمين، لذلك تُرجمت الكثير من مؤلفاته الى عدّة لغات من بينها العربية، التي أُعتبرت فيما بعد سندات يُرجع إليها في الممارسات الطبيّة، وما التّرجمات التي قام بها حنين بن إسحاق، وإسحاق بن علي الرّهاوي إلّا دليل قويّ على عمق أفكاره العلميّة النظريّة والعملية التطبيقية، بالنّظر لقيمة محتواها، كما اعترف العرب بإسهاماته الطبيّة، وسموه خاتم الأطباء والمعلمين، وقد امتدّح الى جانب أبقرط، من قبل الشّاعر أبو العلاء المعري في قوله:

سُقياً ورِعياً لجالينوس من رَجُلٍ \* ورَهْطِ بُقراط غاضوا بَعْدُ أو زادوا  
فَكُلُّ ما أصْلُوهُ غَيْرُ مُنْتَقِضٍ \* بهِ استغاثَ أولُوا سَقَمٍ وعُوداً  
كُتِبَ لِطافٍ عَلَيْهِم خَفَّ مَحْمُلُها \* لَكَنّاها في شِفاءِ الدّاءِ أطْوادُ (2)

#### – المطلب الرابع: أخلاقيات الطب في الحضارة الإسلامية.

لقد تأثّر المسلمون بغيرهم في سياق التّأثير المتبادل بين الحضارات فيما بينها، ولاسيما تأثّرهم بالحضارة اليونانية، إذ عكفوا على ترجمة العديد من الكتب والمؤلفات التي تناولت الأبحاث الطبيّة، ويبدو ذلك من خلال ما نهلوه من العلوم والمعارف، وبالأخصّ في ميدان العلوم الطبيّة، وفيما يبدو فإنّ هذا التّأثير يتمحور في ثلاث عوامل رئيسية:

أولاً: انفتاح المسلمين على التّراث الطّبيّ اليوناني، وعلى أفكار أبوقراط، وجالينوس، وغيرهم من الفلاسفة والعلماء والمفكرين الذين اشتهروا في هذا المجال.

<sup>1</sup> – ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص 28.

<sup>2</sup> – عيسى إسكندر المعلوف، مرجع سابق، ص 31.

ثانيًا: وجود بعض الممارسات الطبية في التقاليد العربية رغم بساطتها، واكتنافها لبعض الطقوس الممتزجة بالشعوذة والكهنوتية، إلى غاية ما جاء الإسلام وقام بتهذيبها.

ثالثًا: التأثير النابع من أخلاق الإسلام في حد ذاته، ومقاصده الداعية إلى حفظ الكليات الخمس، التي من بينها حفظ النفس البشرية.

ولعلّ أبرز مظاهر تأثر المسلمين بالفلسفة الطبية اليونانية تتجلى في اعتمادهم على قسم "أبقراط" في التأسيس لمبادئ أخلاقيات الطب، إلا أنّ المسلمين في هذا الجانب لم يكتفوا بإسهامات غيرهم فحسب، بل استحسنوا الزيادة على أطروحات المتقدمين وأفكارهم فيما يتعلّق بضوابط الممارسة الطبية، واقترحوا مزيدا من المبادئ الأخلاقية حسب ما يتوافق مع التعاليم الدينية الإسلامية.

في هذه النقطة بالذات التزموا بأداء القسم الأبقراطي، وأدخلوا تحسينا على عباراته، حسبما يتوافق مع عقيدتهم الدينية، بدلا من تعظيم الآلهة و"أسكليبيوس" كما كان سائدا من قبل في كُتب الطب والحكمة اليونانية، واكتفوا بتعظيم الله الخالق الواحد، بقولهم: «أقسم بالله ربّ الحياة والموت، وواهب الصّحة وخالق الشّفاء وكلّ علاج...»<sup>(1)</sup> واستمرّ هذا القسم ساريا في الشّكل والمضمون إبان ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وعكفوا على تطبيقه مع تلاميذتهم.

وأبرز من نبغ في علم الطب من الأطباء المسلمين، نجد اسحاق بن حنين، واسحاق بن علي الرّهاوي، ابن سينا، ابن النفيس، أبي بكر الرّازي، وغيرهم كثير.

ونحن في بحثنا هذا لا نركّز الإهتمام على الإكتشافات الطبية في مجال التشخيص الطبي وصناعة الأدوية العلاجية، وإنّما نُسلّط الضّوء على إسهامات

<sup>1</sup> - قدور كرومي: الأخلاق الطبية عند المسلمين، مجلة الباحث، مجلد 12، العدد 18، جوان 2018، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ص 97.

المسلمين في مجال التنظير الأخلاقي لتوجيه الممارسات الطبية، وجعلها في خدمة العنصر البشري وفق مبادئ التعامل الإنساني.

ولعل أشهر هؤلاء المساهمين في مجال أخلاقيات الطب في تاريخ الطب الإسلامي، نجد الطبيب الشهير "أبو بكر الرازي" <sup>(1)</sup>، الذي لخص أخلاقيات مهنة الطب في كتابه "أخلاق الطبيب". وإسحاق بن علي الرهاوي الذي هو محور دراستنا، وسيأتي ذكره مع التطرق إلى أفكاره بالتفصيل في الفصل الثاني باعتباره نموذجاً في هذا البحث.

وقد برع الرازي في ميدان الطب براعة فاقت إسهامات الأطباء السابقين علماً وعملاً، خاصة في الجانب الأخلاقي، إذ لُقّب بأبي الطب العربي، أو "جالينوس العرب" وتقول عنه المستشرق الألمانية "زيغريد هونكه" <sup>(2)</sup> في حديثها عن أثر الحضارة العربية على أوروبا وفضائلها التي أضاعت على الحضارة الغربية: «لقد امتاز الرازي بمعارف طبية واسعة شاملة لم يعرفها أحد قط منذ أيام جالينوس، وكان في سعي دائم وراء المعرفة... وباحثاً عنها في صفحات الكتب وعلى أسرار المرضى، وفي التجارب الكيميائية قاطعاً الآفاق من أجلها...، وكان يزرع في نفوس تلاميذه الفضيلة وحسن الأخلاق، مؤكداً لهم قدسية مهنة الطبيب، محارباً قولا وعملاً كل أنواع الشعوذة في أي مكان كانت، وفي أي صورة ظهرت» <sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، من أعظم أطباء المسلمين في القرون الوسطى، ولد في مدينة الرى جنوب طهران سنة (250هـ-864م)، توفي سنة (320هـ-932م)، اهتم بدراسة الطب وعلومه، وبرع فيه براعة بالغة، إذ عُيّن رئيساً لمستشفى الرى، ثم استدعاه الخليفة المنصور ليكون رئيساً للمستشفى الجديد ببغداد، ومن أشهر مؤلفاته في مجال الطب: كتاب "الحاوي في الطب"، و "الطب الروحاني"، وكتاب "أخلاق الطبيب". [ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص63].

<sup>2</sup> - زيغريد هونكه: مستشرق ألمانية اشتهرت بالإنصاف ومحبة العرب، دافعت عن قضاياهم، من مؤلفاتها: الرجل والمرأة، وكتاب شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية. [زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجبل، بيروت، 1993، ط 8، ص7].

<sup>3</sup> - زيغريد هونكه، المرجع نفسه، ص246.

نفهم من هذا أنّ الرّازي يمثّل نموذج العقلية العلمية الإسلامية التي زاوجت بين العلم والأخلاق في الطبّ، وأنّه من بين الذين أرسوا قيّم وآداب أخلاقيات الطبّ في العالم الإسلامي، وذلك من خلال كتابه "أخلاق الطبيب" الذي هو في الحقيقة رسالة موجهة لطلابه، يرسم من خلالها دستوراً أخلاقياً في كيفية تعامل الطبيب مع المريض، ويوضّح فيها أهم المبادئ الأخلاقية الواجب التقيد بها في ممارسة مهنة الطبّ، حيث ركّز على ضرورة التّحلي بالأخلاق الفاضلة، والابتعاد عن كل ما يشوب هذه المهنة النّبيلة، واجتناب ما يشوّه سمعة من يمتنّها، من قبيل الابتعاد عن الممارسات التي ليست من أخلاقيات المهنة.

يتصوّر الرّازي أنّ علاقة الطبيب بالمريض هي بمثابة عقد أخلاقي بين الطبيب والمريض، يتضمّن الحقوق والواجبات التي يملّوها الواجب المهني والضّمير الإنساني الأخلاقي، يجب على كلّ طرف احترامه والالتزام به، وعدم القيام بأيّ سلوك يؤدّي للإخلال به، ومن أهم بنود هذا الإتّفاق أو العقد نذكر ما يلي:

أ - **مبدأ الثقة:** يؤكّد الرّازي على ضرورة أن يكون الطبيب محلّ ثقة، وعند حسن ظنّ المريض به، فيقول: «...اختصّك لخدمته معتمداً في ذلك عليك وملقياً بأسبابه إليك، وقد أحسن الظنّ إليك من اختصّك لنفسه، واعتمد عليك من جعلك أمين روحه»<sup>(1)</sup>.

ب - **ثقافة الطبيب:** على الطبيب مزاوله طلب العلم والإشتغال بالبحث عن المعرفة وتوسيع ثقافته الطّبيّة، ولا يتأتّى ذلك إلّا بالاهتمام بتصفّح الكتب والإبحار في العلوم الحديثة، ومواكبة المستجدات والإكتشافات الحاصلة في مجال الطبّ التي تساعد على التّشخيص الدّقيق للمرض، ووصف العلاج المناسب للعلل والأمراض، وعليه أن

<sup>1</sup> - أبو بكر الرّازي، أخلاق الطبيب، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط1،

يُتَنَزَّه عن الملهيات والطَّرب، ويصون نفسه عن كل ما يجعله يحيد عن رسالته النبيلة؛ وشرط ذلك أن يتسلَّح بالعلم الوافر والثَّقافة الواسعة، لأنَّ المريض يرى في شخص الطَّبيب صاحب حكمة وسببا في الشِّفاء، ومجيبا عن كل التَّساؤلات، ويقول الرَّازي في هذه المسألة: « فأول ما يجب عليك؛ صيانة النَّفس عن الإشتغال باللَّهو والطَّرب، والمواظبة على تصفَّح الكتب»<sup>(1)</sup>.

**ج - الرِّفق وحفظ السِّر:** يلفت الرَّازي انتباه الأطباء إلى إلزامية الرِّفق بالمرضى، ومعاملتهم معاملة حسنةً دافعها الرَّأفة بهم، قصد بثَّ الطَّمانينة في أنفسهم وحفظ أسرارهم وكتمانها، وعدم إفشاء ما يكتشفونه من أسرار عن المريض وما يتعلق بمرضه حتى لأقرب النَّاس، وعلى الطَّبيب أن يغضَّ البصر عن المحارم أثناء علاج النَّساء، وأن لا يُحيل نظره إلى محاسنهن، تجنباً للإنتقاص من سمعته، وحتَّى يكبر في أعين النَّاس ولا يخوضوا في شخصه بالقليل والقال، ويوصي المرضى بطاعة الطَّبيب واحترامه، وعدم كتمان أيِّ سرٍّ يحول دون تحقيق العلاج<sup>(2)</sup>.

**د - التواضع وعدم التَّكبر:** يجب على الطَّبيب أن يكون متواضعا، غير متكبر على مرضاه، ومراعيا ظروفهم الماديَّة والمعنويَّة، موظِّفا إمكاناته الطَّبية لجميع النَّاس، غير مميِّز بين غنيٍّ وفقير، مخاطبا إيَّاهم باللَّطف واللِّين، مبتعدا عن الثَّثرة، وفي هذا قول الرَّازي بلسان جالينوس: « رأيت من المتطبِّبين من إذا داخل الملوك فبسطوه تكبَّر على العامَّة وحرَّمهم العلاج، وغلَّظ لهم القول...»<sup>(3)</sup>.

**هـ - التَّوَكُّل على الله، وتجنُّب العجب بالنَّفس:** يشدِّد الرَّازي على حسن التَّوَكُّل على الله، وينهى الطَّبيب عن العُجب بالنَّفس، حتى لا يَنسِبَ الشِّفاء لذاته متعدياً على

<sup>1</sup> - أبو بكر الرَّازي، المصدر نفسه، ص19.

<sup>2</sup> - أنظر: أبو بكر الرَّازي، الطب الروحاني، تحقيق عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية، 1987، ص25.

<sup>3</sup> - أبو بكر الرَّازي، أخلاق الطَّبيب، مصدر سابق، ص35، ص36.

إرادة الله، بل يجب أن يعتقد الطبيب في ذاته بأن الشفاء إنما يحصل بقوة الخالق وإرادته، وإنما هو سبب في الشفاء لا غير، فالتوكل أمر عقائدي لا بد منه وواجب على الطبيب، لأن الطبيب قد يعجب بنفسه في حال شفاء مرضاه ويعتقد أن البرء منه، وهذا منافٍ للعقيدة، ومناقض للتقدم والمعرفة (1).

ونوه في أدب الطبيب بأهمية فحص المريض ومعرفة حالته الصحية قبل تقديم الوصفات العلاجية، وحث الأطباء على متابعة الحالة الصحية للمريض وتطوراتها بعد تقديم الوصفة الدوائية، وحذر من أدعياء الطب والكهنة، ومن دخلاء المهنة ومنتحليها. ويمكن القول أن هذه النصائح الموجهة للأطباء في معاملتهم للمرضى ملخصة في كتابه الطب الروحاني، إذ يجب أن يكون الطبيب مثقفاً، حافظاً لسر المريض، وأن لا يكون متكبراً على المرضى وفي خدمتهم، فقراء وأغنياء على السواء، وأن يصون نفسه عن الهوى والطرب والشّهوات، وأن يغضّ البصر، وأن لا يُثقل على المريض، مع الإقلال من الكلام في مجلسه، والحرص على إدخال السرور إلى قلوب الناس (2).

إجمالاً لقد كانت مسألة أخلاقيات الطب وآدابه، ولا زالت تحظى بكثير من الاهتمام من قبل المفكرين وعلماء الطب، وذلك بما أدلى به السابقون من الحضارات؛ كلّ حسب بيئته الاجتماعية، ومنظوره ومرجعياته الفكرية التي تشرب منها أفكاره، وإذا وجهنا النظر إلى فكر أبي بكر الرازي في محاولته لضبط أخلاقيات الطب في الحضارة الإسلامية؛ نجد أن له إسهامات في هذا المجال اقتصرنا على ذكر أهم الآداب التي ينبغي للطبيب أن يتصف بها.

<sup>1</sup> - أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، مصدر سابق، ص 38.

<sup>2</sup> - أبو بكر الرازي، الطب الروحاني، مصدر سابق، ص 25.

## الفصل الأول — مفهوم أخلاقيات الطب وتطورها التاريخي

وفي مايلي يأتي الحديث عن دور إسحاق بن علي الرّهاوي كأحد الشخصيات البارزة في مجال اخلاقيات الطبّ.

# \* الفصل الثاني \*

## أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

المبحث الأول: حياته (المولد والنشأة)، عصره، ثقافته، ومؤلفاته.

المبحث الثاني: مبادئ الطبيب عند الرهاوي.

المبحث الثالث: شروط ممارسة الطب عند الرهاوي.

المبحث الرابع : واجبات، وحقوق الطبيب.

### المبحث الأول: حياته

#### - المطلب الأول: المولد والنشأة.

من خلال البحث والتقصي في كتب التاريخ عن شخصية إسحاق بن علي الرهاوي لم نقف على المعلومات الدقيقة والشاملة عن حياته إلا بعض الإشارات من طرف بعض المترجمين والمحققين، من أمثال ابن أبي أصيبعة، في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" وفي كتاب "أدب الطبيب" للمؤلف نفسه، تحقيق الدكتور كمال السامرائي، والدكتور مريزن سعيد مريزن عسيري، إذ ذكرا أن كل ما نعرفه عن حياة إسحاق بن علي الرهاوي، هو مكان مولده في "الرّها"، وهي مدينة مشهورة تقع بالجزيرة العربية شمال حلب بسورية، في القرن الثالث هجري، حيث ذكرا أنه عاش في الفترة الواقعة بين سنتي (240هـ-854م) و(319هـ-931م).<sup>(1)</sup>

واختلفت الآراء حول ملّة إسحاق بن علي الرهاوي، والراجح أنه كان يهودي الملة، ثم أسلم فيما بعد، يتجلى ذلك من خلال كتاباته التي يتبنّى فيها الكثير من تعاليم الإسلام وسماحته، التي استتبط من خلالها مبادئ وأخلاقيات الطب في كتابه، فيذكر المحققون أنه نشأ على الإيمان بالله، وأنه الشافي لجميع الأمراض والعلل، والطبيب ما هو إلا سبب، فالإيمان بالله في نظره يعدّ من أصول الأمانات التي ينبغي أن يتخلق بها الطبيب الصالح، دون إغفال جانب التأثير والاحتكاك بأفكار الأطباء القدامى، حيث كان مولعا بأفكار "جالينوس" في الطب.

#### - المطلب الثاني: عصره

تزامنت حياة الطبيب "الرهاوي" بالعصر العباسي الذي تميّز في سنواته الأخيرة بالتقهقر الثقافي والركود السياسي والاقتصادي نتيجة التدخلات الأجنبية، وفساد وانغماس القائمين على الخلافة في اللهو والترف، وإهمال شؤون الخلافة في جميع

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، أدب الطبيب، تحقيق مرزبن سعيد مريزن عسيري، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، الرياض، السعودية، ط 1، 1992، ص 9.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الزهاوي

المجالات؛ مما أدى إلى انقسام الخلافة الإسلامية إلى دويلات صغيرة، في ظلّ هذا الوضع السائد ظهر نوع من الإستقلالية عن دار الخلافة في التسيير؛ ممّا دفع بعض السلاطين والملوك إلى استقطاب العلماء البارزين، والإستكثار منهم، والإستثمار بهم في بلاط الحكم، وهو ما مكّن من إنتعاش الحركة العلميّة، نتيجة المبادرات الشخصية في ترجمة كتب ومؤلفات علماء الحضارات السابقة وخاصة منها مؤلفات وكتب من التراث اليوناني، في أواخر العصر العباسي، والعصور اللاحقة.

وفي ظلّ إزدهار حركة الترجمة والتأليف التي قام بها علماء الإسلام، في القرن الثالث الهجري، برزت عدّة أسماء لامعة من العلماء والأطباء الذين قدّموا ما أمكنهم من إسهامات جليلة، ودراسات عميقة في العلم والطب لا يمكن إنكارها مطلقاً، وفي هذا يقول العالم الإيطالي الدوميلي<sup>(1)</sup>: «من الخطأ أن نظنّ أنّ العرب لم يضيفوا شيئاً جديداً إلى العلم الذي كانوا أوصياء عليه، بل على النقيض من ذلك كانت خطوات التّمية والإنضاج التي خطوها في هذا السّيل... ليست أقلّ أصالة ولا أبعد عن الواقع»<sup>(2)</sup>. نفهم من هذا القول أن الدوميلي يقر صراحة بالمجهودات التي بذلها العرب، ويعترف بإسهاماتهم في شتّى العلوم.

ومن بين هؤلاء العلماء الأطباء الذين أسهموا في مجال الطب نجد إسحاق بن علي الزهاوي الذي يعد شخصية بارزة إهتمّت بترجمة إسهامات وعلوم القدامى، وساهمت في ترسيخ دعائم الفكر الجديد في الطب من خلال كتابه الشهير "أدب الطبيب"، الذي يعتبر من أبرز المصادر التي يُستند عليها في تكريس مبادئ

<sup>1</sup> - الدوميلي ALDO Mieli : عضو بارز في نشاط الجماعة العالمية التي تُعنى بتاريخ العلوم عامة، وأحد الوكلاء السابقين لرئاسة المُجمع الدّولي (الأكاديمية) لتاريخ العلوم ، ومؤسس مجلة "أركيون"، [الدوميلي، العلم عند العرب وأثره في تجربة العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى، دار القلم، جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1962م، ص662].

<sup>2</sup> - نقلا عن: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ج1، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص61.

الطب وأخلاقياته بما تضمّنه من شروحات، واقتباسات، وإثراء للأقوال والأفكار والآراء التي عرضها.

### — المطلب الثالث: ثقافته، ومؤلفاته.

لعلّ من بين أهمّ الأسباب التي جعلت الرهاوي ينبغ في ميدان الطب وأخلاقياته، هو مزامنته لعصر الترجمة، ومعايشته لفترة ازدهار النهضة الفكرية والعلمية التي عرفتتها الحضارة الإسلامية، حيث انكبّ العلماء والمفكرون على ترجمة العديد من مؤلفات الحضارات الأخرى في شتى العلوم، وبالأخصّ في ميدان الطب والصّيادلة، إذ نقف على نباهة الرهاوي وشغفه وحرصه الكبير على قراءة وتفحص مختلف المصنّفات والكتب والاستفادة منها، لا سيما المصنّفات الفلسفية والطّبية لجالينوس وأبقراط، يتجلّى ذلك من خلال إستتاده والرّجوع إليهما، وتبني بعض أفكارهما، وعرض أرائهما الطّبية، والإستشهاد بها في عدّة أبواب من فصول كتابه أدب الطّبيب، وهذا دليل على اتّساع ثقافته ومعلوماته الفكرية والطّبية، وسعة إدراكه لخصوصيّة مهنة الطب، وأهميّة أخلاق الطّبيب وصفاته التي يجب أن يكون عليها.

وفي شأنه قال ابن أبي أصيبعة: «كان طبيبا متميّزا، عالما بكلام جالينوس، وله أعمال جيّدة في الطب»<sup>(1)</sup>.

نستخلص ممّا سبق أنّ الرهاوي كان واسع النّفاة، ملّما بعلوم الطب والصّيادلة، وتجلّى ذلك من خلال مؤلفاته رغم قلّتها، التي أضحت فيما بعد مرجعا أساسيا، يُستند عليها في استنباط أساسيات مهنة الطب وآدابها، ومن خلال الأثر الذي تركته على الحضارة العالمية، والإسلامية بالخصوص، حيث تُرجمت كتبه إلى العديد من اللّغات العالمية، وممّا يؤكّد على غزارة علمه واتّساع ثقافته، معلوماته وخبراته في الطب

<sup>1</sup> - ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص 342.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

والصّيدة، وفي توصيف التدابير العلاجية، وعمق المبادئ الأخلاقية الطّبية التي صاغها في كتابه.

فثقافة الرّهاوي لم تنحصر في ميدان الطبّ فقط؛ بل تعدّت إلى علوم أخرى كالفسفة والمنطق، والفقه والأدب، مما يدلّ على رفعة مكانته العلمية والفكرية، وانفتاحه على ثقافات الأمم السّابقة، وقدرته على توظيفها لاسيما المنقولات اليونانية، وترجمتها علميًا وعمليًا بما يتوافق وثقافته الدّينية، كما يدلّ على تحكّمه في اللّغة العربيّة وإتقانه لأساليبها رغم انتمائه إلى النّقافة الفارسية، وهذا ما ساعده على عرض أفكاره بأسلوب واضح، وتفصيل دقيق، يميّز بالحجّة والبيان والقوّة في استحضار الدّليل.

وتظهر ثقافة الرّهاوي جليّة في عناوين الأبواب التي تناولها في كتابه "أدب الطّبيب"، الذي يعدّ من أهمّ مؤلفاته، بالإضافة إلى مصنّفاته التي تمثّلت في كتّاش جمعه من عشر مقالات لجالينوس، تتحدّث في مضمونها عن تركيب الأدوية، ومؤلف آخر يحتوي على جوامع استخلصها من أربعة كتب لجالينوس، وهي : كتاب الفرق، كتاب الصناعة الصغيرة، كتاب النّبض الصّغير، ورسالة إلى أغلوقن<sup>(1)</sup>.

وحُضي كتاب أدب الطّبيب للرّهاوي بأهمية كبيرة في ميدان الطبّ، نظرا للمحتوى الذي تضمّنه، والمواضيع التي تطرّق إليها، إذ يعتبر النّمودج الأوّل في تاريخ العلوم الطّبية في التّراث العربي الإسلامي، حيث تناول فيه بالتّفصيل مبادئ وأخلاقيات الطبّ والأطباء، كما لم يسبق أن تناولها أحد من قبله بهذا التفرد والإسهاب.

### المبحث الثاني: مبادئ الطّبيب عند الرّهاوي.

استفاض الرّهاوي بإسهاب بالغ في تبيان الآداب والأخلاق التي ينبغي للطّبيب أن يلتزم بها، وهي عبارة عن مجموعة قيّمة من الوصايا والتّعاليم، اجتهد في صياغتها بجهد جهيد، وهذا نلمسه في قوله: «وقد تكلفت جمع ما قدّرت عليه من الآداب التي

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 17.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

ينبغي للطبيب أن يؤدّب بها نفسه، والأخلاق المحمودّة التي ينبغي أن يقوم بها طبعه»<sup>(1)</sup>.

من هذا القول نستنتج أن إسحاق بن علي الرهاوي قصد إصلاح النّفس وتهذيبها، وتعديل الأخلاق في المقام الأول، مقدّماً إيّاها عن إصلاح البدن، إدراكاً منه أنّ الطّبيب أحوج إلى غذاء الرّوح وسمو الأخلاق منه إلى غذاء الجسد، ويؤيّد أهميّة هذه الغاية الشّاعر أبو الفتح البستي في قصيدته "عنوان الحِكم" قائلاً<sup>(2)</sup> :

يا خادِمَ الجسمِ كم تشقى بِخدمَتِهِ \*\*\* أَتَطلبُ الرِّيحَ فيما فيه خُسران؟  
أقبلُ على النّفسِ واستكملُ فضائلها \*\*\* فأنتَ بالنّفسِ لا بالجِسمِ إنسان.

فمهنّة الطبّ في نظر الرّهاوي فن وعلم وأخلاق، لا تتطلب المهارّة وحسب، بل تقتضي الإمتثال للقيم والمبادئ الأخلاقية الإنسانيّة، ومراعاة الضّوابط الأخلاقيّة التي ينبغي أن يلتزم بها الطّبيب، ويتقيّد بها من أجل إصلاح نفسه، وتقديم أرقى الخدمات للمرضى والعناية بهم، وضماناً لدوام عافية الأصحّاء، مشيراً إلى واجبات الطّبيب والمريض على حدّ سواء في قوله: «وذكرت فيها أيضاً واجبات ولوازم تدعو الحاجة إليها في صلاح الأصحّاء والمرضى، من قصص وأخبار يتأدّب بها سائر النّاس كافّة، والأطباء خاصّة»<sup>(3)</sup>.

من الواضح أنّ فلسفة وفكر الرّهاوي أشمل من أن تُلخّص في كتاب، فهو يوجّه رسالة سامية المعاني يتكلّم فيها عن أدب الطّبيب وأخلاقه، وأسلوب تعامله مع المرضى ومن يحيطون بهم، مُبيّناً المسؤوليّات المُلقاة على عاتقهم، بما يساعد الأطباء

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 35.

<sup>2</sup> - أبو الفتح البستي، قصيدة عنوان الحِكم، تحقيق وشرح عبدالفتاح أبو غدة، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 1، 1404 هـ، ص 04.

<sup>3</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 36.

على أداء مهمّاتهم على أكمل وجه، وبما يمكنهم من مساعدة المرضى على تلقي العلاج ، وترجّي الشفاء بصورة مثلى<sup>(1)</sup>.

لقد أرسى الرهاوي مبادئاً للطب تضمنتها أبواب كتابه أدب الطبيب، نحاول قدر الإمكان شرح وتلخيص محتوياتها في هذا المبحث.

### – المطلب الأول: الآداب، والأمانة والاعتقاد.

ركّز الرهاوي في الباب الأول من الكتاب على توجيه الأطباء إلى إلزاميّة التمسك بقيمتي الأمانة والإعتقاد والتحلّي بهما، واعتبرهما دعامتين أساسيتين لازمتين لممارسة مهنة الطب بروح إسلامية تحكمها ضوابط أخلاقية، وآداب عقلية إستقاهما الرهاوي من المصادر الدينية الإسلامية، ومن مقالات القدماء.

أ ( – الآداب: إذ يرى الرهاوي أن الطبيب بمنزلة الحاكم ينبغي عليه أن يتأدّب بآدابه، وأن يتحلّى بأحسن خصاله، فكما أن الحاكم يجب أن يكون عالماً ورحيماً بالرعية، لزم على الطبيب إظهار الرحمة والعطف والشفقة، مُستشهداً بكلام أرسطو طاليس<sup>(2)</sup>، القائل: «تفقد من الحاكم أربع خصال، أن يكون حسيباً، وأن يكون عالماً، وأن يكون ورعاً، وأن يكون غير عجول»<sup>(3)</sup>.

تعتبر صفات الطبيب وخصائصه جزءاً أساسياً من ممارسة الطب بنجاح؛ حيث يتجاوز دور الطبيب مجرد تشخيص الأمراض ووصف العلاجات، إلى التفاعل مع المرضى وتقدير احتياجاتهم النفسية والجسدية، وفي هذا السياق يؤكد الرهاوي على

<sup>1</sup> – علي حسن غلوم علي، أخلاقيات الطب وآدابه، سلسلة إصدارات جامعة البيان، دار الكتب والوثائق، بغداد، العراق، 2018، ص 65.

<sup>2</sup> – أرسطو طاليس: (384 ق.م-322 ق.م) فيلسوف من أعظم نوابغ الفكر اليوناني، اشتهر بالفكر النقدي الذي هو أساس العلم بالذات، والذي لخص العالم في نظره على أنه انتقال من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل، وهو مؤسس علم المنطق، وله اسهامات في الفكر الأخلاقي، أبرزها كتاب الأخلاق النيقوماخية، وكان يفترض أنّ الهدف الأساسي لحياة الإنسان هو العيش بصحة جيّدة، لبلوغ السعادة، التي تكمن في كمال الفرد والتوازن المثالي بين الفضيلة والذّة. [ جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 3 ط، ص 56].

<sup>3</sup> – إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 40.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

ضرورة أن تتوفر مجموعة من الخصال في شخصية الطبيب، مشيرًا إلى أن الطبيب يجب أن يكون حكيماً في التعامل مع النفوس والأجسام، وإثباتاً لذلك يقول: «وإذ نقلت هذه الأقاويل إلى الطبيب وجدتها به لائقة، وعليه واجبة، إذ الطبيب حاكم في النفوس والأجسام... فلذلك ينبغي للطبيب أن يأخذ نفسه بالآداب والعلوم النافعة له في صناعة الطب»<sup>(1)</sup>.

ومنه نرى أن أصل تسمية الطبيب بالحكيم مرتبطة بصفات الحكمة والتصرف بعقلانية، التي يستلهمها من الحاكم. وهي صفات في مجملها تجعله محل تقدير واحترام من قبل العامة، وشخصاً موثقاً به، وقادراً على تقديم الرعاية الصحية المتميزة، وتعزيز صحة المجتمع ورفاهيتهم، وتقديم النصائح والعلاجات الفعالة.

### ب - الأمانة والإعتقاد:

**الأمانة الأولى:** بعد ذكر الخصال التي يجب أن تتوفر في شخصية الطبيب، بين الرهاوي أهمية البعد الإيماني والروحي والأخلاقي لدى الطبيب عند ممارسة الطب، إذ يؤكد أن أول ما يلزم الطبيب إعتقاده هو صحة الأمانة، ولهذا يقول: «إن أول ما يلزم الطبيب إعتقاده صحة الأمانة، وأول الأمانة إعتقاده أن لكل مخلوق خالقاً مكوّناً، واحداً قادراً حكيماً فاعلاً لجميع المفعولات بقصد، محيياً مميئاً، ممرضاً مشفياً»<sup>(2)</sup>. من هذا القول نفهم إلحاحه على وجوب الإعتقاد الراسخ بوجود خالق واحد قادر على التصرف في كل أفعال الكون، يعلم ما يكون نافعا وضارا لجميع الخلائق، ووجود إيمان صادق بأن الله هو مصدر الحياة والموت، يملك أسباب الشفاء لجميع

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 40.

<sup>2</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 41.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

الأمراض، وما الطبيب إلا سببا من الأسباب المؤدية الى العلاج، والغرض من وظيفته ليس دفع الموت، بل إبقاء الصحة، ودفع المرض مدى الحياة بقدر الإمكان<sup>(1)</sup>.

**الأمانة الثانية:** تتضمن وصف الحالة الشعورية التي ينبغي أن يكون عليها الطبيب في علاقته بالله سبحانه وتعالى، إذ يرى أن من واجبات الطبيب اختصاص الله بالمحبة الصحيحة طوعا وليس كرها، وأن ينصرف إليه بعقله ونفسه، قائلا: «أن يعتقد لله - جل ذكره - المحبة الصحيحة، وينصرف إليه بجميع عقله ونفسه واختياره، فإن منزلة المحب اختيارا أشرف من منزلة الطائع له خوفا واضطرارا»<sup>(2)</sup>.

**الأمانة الثالثة:** مضمونها يتوجب على الطبيب الاعتقاد بضرورة الإيمان بالله، وبصفوة خلقه من الأنبياء والرسل، والتصديق بأنهم أرسلوا الى الخلق لهدايتهم وإرشادهم الى ما يصلح أنفسهم وأجسادهم، فالرهاوي لا يقلل من قيمة العقل والبحوث العلمية، بل يحث على الإجتهد في طلب العلم، ويحثه أن يعتقد جازما أن العلم الدنيوي المكتسب من البحث والإجتهد غير كافٍ، وقاصر على تفسير أسباب الأمراض وتشخيص العلاجات، لأن العقل العلمي قد يعجز عن إيجاد تفسيرات وعلاجات لبعض الأمراض الروحية النفسية والجسمية المستعصية، ما لم يلزمه التوفيق من الله، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجده يحارب أفكار الزندقة، والخرافة والسحر، محذرا الأطباء من الوقوع في مستنقع هذه الأفكار السلبية، داعيا إياهم إلى الإيمان بالله والإرتباط به، والتتره عن الكبر والعُزور.

ويمكن القول أن هذه الأمانات هي عبارة عن مبادئ روحية، يلتزم بها الطبيب لتعزز الجانب الأخلاقي لديه، وترفع من نزاهته، وتجعله يقوم بأداء واجبه بأمانة وإخلاص في مجال عمله، ذلك لأن الطبيب إذا تحقق لديه الإيمان بالله وما جاءت به

<sup>1</sup> - قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي، بيان الحاجة الى الطب والأطباء، تحقيق أحمد فريد المزيدي،

منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 13.

<sup>2</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 41.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

الرسل، والكتب السماوية تكون لديه الوازع الديني، وارتفع لديه الوعي الروحي، وسما بأخلاقه وسعى جاهداً لحفظ الأمانات والأرواح التي كُلف برعايتها .

### — المطلب الثاني: اعتدال قوى النفس.

إن إصلاح الأخلاق واعتدال الأفعال والسلوكيات لا يتم إلا بالإقرار بوجود الله والإيمان به، والإخلاص في محبته، والإعتراف بفضله، والعمل بمضامين رسالاته التي أوكلها إلى أنبيائه ورسله، وشرط ذلك ضبط أصول قوى النفس الثلاث، التي إقتبس الرهاوي معانيها من أفكار فلاسفة اليونان الذين تأثر بهم، والتي ذكرها في كتابه أدب الطبيب بما جاء على لسان جالينوس: «إن القوة الأولى من قوى النفس هي: القوة النفسانية، وهي التي تتم أفعالها بالدماغ، والقوة الثانية هي القوة الحيوانية، وأفعالها تتم بالقلب، والقوة الثالثة هي القوة الشهوانية، وأفعالها تتم بالكبد»<sup>(1)</sup>.

فالقوة النفسانية يتحكم في أفعالها الدماغ، وباعتدالها يكتسب الإنسان التفكير العقلي السليم، والتحصيل العلمي الجيد، والإختيار الحسن لجميل الآراء والأفكار، أما القوة الحيوانية فمصدر أفعالها القلب، وصفتها الهدوء والرزانة وكضم الغيظ، والقوة الشهوانية منبع أفعالها الكبد، واعتدالها ينتج عنه العفة والتحكم في النفس، ونهْيها عن الملذات واتباع الشهوات.

وخلاصة القول أن اعتدال النفس وضبط أفعالها مرهون باعتدال هذه القوى الثلاث، ممّا يؤدي إلى سُمُو الأخلاق الإنسانية ونُبُلها في شخص الطبيب، إذ تجعلها فاضلة محمودة وتجعل نفسيته زكية طاهرة، وهذا ما يجب أن يحرص على تحقيقه، وتدريب النفس عليه.

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص55.

و من أجمل ما نختم به هذا المبحث الحكم والوصيا التي استقاها الرهاوي من أقوال السابقين وصاغها في كتابه، للإقتداء والالتزام بها في ميدان المعاملات الطبية، ونذكر منها ما يلي :

- اجتهد أن لا تكون واعظا بجميل الأقوال، لكن أن تكون عضتك بجميل القول والفعال، لأنّ الأفعال أبلغ تأثيرا من الأقوال، وأكثر رسوخا وعمقا في نظر الآخرين.
- لقّح عقلك بالآداب، وروّض نفسك بالحكمة، لأنها تفضي بك الى عظيم الفضائل.
- ابتعد عن مصاحبة الأشرار لأنّ كلّ ما يصدر عنهم من عيوب أو مساوئ من قول أو فعل يُحسب عليك.
- اعلم أنّ الفقر مع الحلال أصلح من الغنى مع الحرام، وذكرك بحسن الكلام خير من غناك بنفيس المال، لأنّ المال قد يملكه السّفِيه والجاهل، أما الحكمة لا يؤتاها إلاّ صاحب الفضل والكمال.
- اجتهد في طلب الحكمة والعلم والأدب من مصادرهم الأصلية ومن أهل المعرفة وذوي الاختصاص<sup>(1)</sup>.

في هذه النّصائح إجمال قيّم للصفّات المحمودّة والسلوكات المرغوبة، والآداب التي ينبغي أن يكون عليها الأطباء، ويتأدّبون بها في حياتهم الشخصية وعلاقاتهم الإجتماعية، وفي شؤون حياتهم اليومية والمهنية، إذ هي نصائح قيّمة حول كيفية تحسين ذات الطّبيب وسلوكه، وتركيز على القيم الحقيقية بدلا من المظاهر الماديّة.

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 58.

### المبحث الثالث: شروط ممارسة الطب عند الرهاوي.

لما كانت مهنة ممارسة الطب من بين المهن النبيلة التي تتطلب الإلتزام بالكثير من الآداب الأخلاقية من قبل مُمتنّيها، تطلب الأمر وضع شروطٍ وأسسٍ تأطيريةٍ تنظيمية، تشمل الجوانب العلمية، والقانونية، والأخلاقية للطبيب، تهدف الى حماية المجتمع البشري من إدعاءات الجهلة والمبتدعين، وضمان ثقة المرضى في من يلجؤون إليه بعد الله في لحظات ضعفهم، وفي مساعدهم للعلاج، فشروط ممارسة الطب ليست مجرد قواعد تقنيّة، بل كانت ولا تزال إنعكاساً لرؤية حضارية تُقدّر الحياة، وتُكرّس روح المسؤولية والعدالة.

فالمتمحّص لأبواب كتاب أدب الطبيب يستخلص مجموعة من الشّروط المبدئية، التي تخضع لها الممارسة الطبية، هذه الشّروط تشكّل أساساً لممارسة مهنة الطب بأخلاقية ومسؤولية، وتساهم في تحصيل رعاية طبيّة جيّدة ومتطورة للمرضى، والتي سنُفصّل فيها بالتّحديد في مطالب هذا المبحث، ومن بينها الصّحة البدنية والنفسية للطبيب، والإمتحان المهني وموضوعاته، والعلم بالمحاذير والمخاطر الطبية.

#### - المطلب الأول: الصّحة البدنية والنفسية والعقلية للطبيب.

إنّ مهنة الطب تتطلب مجهوداً كبيراً، جسدياً وعقلياً، مما يستدعي من الطبيب على الدوام الحفاظ على صحته الجسدية والنفسية والعقلية في اعتقاد الرهاوي، باعتبار أنّ الطبيب لا يستطيع علاج الآخرين إذا كان يعاني من علة جسدية أو عقلية نفسية، فهو يشدّد على أنّ الطبيب يجب أن يهتم بصحته النفسية، ليكون نموذجاً يُقتدى به من طرف المرضى، ولحصول ذلك ينبغي إعمال العقل الذي وهبه الله إياه، وميّزه به عن سائر مخلوقاته، فبفضله يمكنه التقدير بين ما ينفعه وما يضرّه، ويختار له الأفضل المناسب من الأبنية، والكساء، وأنواع الأغذية والأشربة، ويدفع عنه جميع المؤذيات، بدليل قوله: « وأما الإنسان العاقل فلما وهب الله له تبارك وتعالى ما هو أشرف من

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

الطَّبع...، وصار يعلم ما يصلحه له أن يتصرّف بعقله فيما يختاره من اتخاذ الأبنية والكساء وأنواع الأغذية والأشربة، وله أن يقاوم بعقله المضار والمؤذيات»<sup>(1)</sup>.

فإن اتّبع الإنسان شهوته ولذته دون عقله دخلت عليه الأمراض، ولم يأمن من الهلاك، وأنزل منزلة البهائم، أمّا من تدبّر الأمور بعقله حُضِيَ بالأدب الفاضل، وارتقى الى مصاف الإنسان الحقيقي.

فالمقصد الأول للرّهاوي يتحدّث عن إلزاميّة تعديل أخلاق النّفس بفعل العقل، ليعتدل بعد ذلك مزاج البدن، ليكتمل تحقيق التّوازن بين العقل والجسد، وينتقل الإنسان من الأخلاق البهيميّة الى الأخلاق الشّريفة النّفسانية، ومن هنا يكمن فضل العقل في المحافظة على الصّحة النّفسية والعقلية للإنسان.

أمّا المقصد الثّاني الذي دعا اليه الرّهاوي، فهو كفيّة اصلاح وتعديل الجسم وإكسابه الصّحة، وسبيل ذلك أن يتفكّد الإنسان سلامة وظائف أعضائه، فإن وجد كلّ عضو يؤدّي وظيفته دون عائق، فليدرك أنّ جسمه سليم لا علة به، وإن قصر عضو في الوظيفة المنوطة به دلّ ذلك على وجود علة به، ويضطرب لنا في هذا السّياق أدقّ الأمثلة عن العين، إذ يقول: «إنّ العين خُلقت لتبصر المبصرات من الألوان والأشكال وغيرها، فإنّ وجّدتها تدرك مبصراتها بلا عائق ولا تقصير قيل لها: صحيحة، وإن قصّرت أو لم تبصر قيل لها: مريضة، أو عادمة الإبصار، وكذلك القول في سائر أعضاء البدن»<sup>(2)</sup>.

هذه إشارة منه الى حتّ من أراد إمتهان مهنة الطبّ أن يتزوّد بكثير المعارف عن مختلف العلل والأمراض وتدابير علاجها، ويتطلّب ذلك الإلمام بالعلوم الطّبيعية، ويعلم الاخلاق وعلم النّفس<sup>(3)</sup>، وليبدأ بتفحص علل جسمه قبل علل غيره، لأنّ من

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 62.

<sup>2</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 64، ص 65.

<sup>3</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 130.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

عجز عن علاج نفسه فهو عن علاج غيره أعجز، ويحصل ذلك بمعرفة أمزجة البدن وأحوال تغيّرها، فكل جسم له مزاج خاص وعلامات تخصه، وله تدابير توافقه لذلك وجب على الطبيب تدريب نفسه على الحدس الطبي والتنبؤ بالنتائج، وتقدير العلاج المناسب لكل مزاج، الذي يكمن في اختيار الغذاء المناسب لذلك، إذ يُقرّ الرهاوي بأن يختار الطبيب المأكّل والمشرب المشابه لمزاج الجسم.

ومما ينبغي للطبيب علمه أنّ الأعضاء مختلفة، منها ما هو محسوس كالعينين واليدين، والرجلين، ومنها ما هو باطن كالمعدة والرئة والكبد، ومعرفة التدابير التي لا يمكن الجهل بها لا في نفسه ولا في غيره، لتحقيق المنفعة وحفظ الصحة، ومنها إصلاح الأمور الحافظة للدماغ لأنّه بمثابة الملك المسؤول عن تدبير مصالح الأعضاء، فإن ساءت حالة الدماغ وقصُرَت ملكة تمييزه اضطرب سائر الجسم وساءت حالته، ولا يقدر على حفظ الدماغ إلّا من تعمق في معرفة مزاجه وطبعه، لذلك يلزم على الطبيب معرفة مزاج دماغ كل شخص، وأفعاله الثلاثة: التمييز، والحفظ، والتّخيل<sup>(1)</sup>، كما عليه أن يحرص على معرفة كمال أفعال الدماغ وجودتها، أو رداعتها وفسادها، ليقدر على إصلاح نفسه أولاً، ثم إصلاح غيره فيما بعد.

يبين الرهاوي أنّ حفظ الصحة يتمّ بالعناية بعدّة تدابير وأمور كالعناية بالحواس، من سمع وبصر، وشمّ وذوق، والإهتمام باللياقة البدنية عن طريق ممارسة الرياضة بشكل منتظم، واختيار التغذية الصحيّة السليمة دون افراط أو تفريط، مع الهضم الجيّد للأغذية واختيار أوقات تناولها، حفاظاً على سلامة الأعضاء الداخليّة للجسم كالمعدة والكبد والأمعاء والطّحال والمرارة والكلّى والمثانة، والنّوم الجيّد والراحة بتجنّب الإجهاد والسّهر، والحرص على تهوية المكان على الدّوام قصد الحفاظ على سلامة أعضاء الجهاز التنفّسي، دون إغفال العناية بالجانب النّفسي، بالإبتعاد عن كل ما يكدّر الرّاحة

<sup>1</sup> - أنظر: إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 71.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

النفسية من غضب وانفعال، لذلك يؤكد الرهاوي على العناية الشديدة بسلامة القلب، لأنه مصدر الغضب.

وملخص هذا يرد في قول الرهاوي: «والأمر الطبيعى هي هذه: حالات الهواء، والحركة والسكون، والمأكول والمشروب، والإستقراغ والإحتقان، والنوم واليقظة، والأعراض النفسانية، والبلدان، والأعمال، والعادات، وقوة الجسم، والسن، والسمنة، وطبيعة البدن» (1)،

### — المطلب الثاني : العلم بالمحاذير والمخاطر الطبية.

بعد حديث الرهاوي عن الشرط الأول الذي ينبغي للطبيب أن يلزم به نفسه قبل امتحان الطب، نتطرق الى جملة المحاذير والمخاطر الطبية التي على الطبيب العلم بها، من أجل الإحتياط والحذر منها.

فأول ما يشترط على الطبيب الحذر والإحتراس منه؛ استشارة أي كان من غير ذوي الإختصاص من أهل العلم بالطب، وتكليفه بالنيابة في تدبير الأمور العلاجية للمرضى، لأنها قد تؤدي بهم الى الهلاك، وحصول مضاعفات صحيّة، فإن عجز عن التشخيص والعلاج، فمن الأولى ألا يكون سببا في الإضرار بالمرضى، ويستدل الرهاوي في ذلك بموعظة أبقرط، التي يقول فيها: «وينبغي أن تلزم نفسك سنتين احدهما أن تتفع المريض، والأخرى أن لا تضره» (2).

ومن جهة أخرى عليه عدم استشارة المريض والأخذ برأيه في اتخاذ القرار، إن تبين واتضح جهله بمصلحته، ولتأييد ذلك استشهد بكلام جالينوس القائل: «ينبغي للطبيب ألا يتبع إرادة المريض إذا لم تكن موافقة لصلاحه، ولا ينبغي أن يحمله على

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 74.

<sup>2</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 164.

ذلك رهبة منه ولا رغبة في ماله، بل من الله يجب أن يرهب، وإليه ينبغي أن يرغب»<sup>(1)</sup>.

ومنه إشارة صريحة لوجوب أن يترفع الطبيب عن المغريات المادية، والمكافآت المالية أو ما يصطلح عليه في عصرنا بالرشوة، حتى لا يحيد عن أداء الواجب المهني، ويعمل وفق الطّوابط الأخلاقية، فإن قبل الطبيب مثل هذه المغريات المالية والهدايا، تعود على الجشع واستغلال الحالة الصحية للمريض الباحث عن العلاج بشتى السبل، وقد يقوده هذا الأمر الى الإحتيال والوقوع في الحرام، تحت تأثير الإغراء المادي والمالي، أو يجره الى الإبتذال في اقتراح وصفات سحرية لبعض الأمراض المستعصية التي يعاني منها المريض، والتي من الممكن أن يكون لها تأثير عكسي على صحته، وتؤول بالطبيب الى خرق الضوابط الأخلاقية، كإسقاط الأجنّة، أو حصول عاهات مستديمة، أو تؤدي بالمريض الى الوفاة، وهذا إهمال لواجبه الإنساني. ومما يجب أن يحذره الطبيب أيضا، كتمان العلم النافع والمعرفة، وعدم تسخيرها في المنفعة العامة، أو الإقدام على التسرع في تقديم العلاج دون تشخيص دقيق، فقد يرتكب خطأ طبيا عن قصد، أو عن غير قصد، فيستفحل المرض ويتسبب في مرض أعظم من الأول، كما عليه التأكد من صلاحية الأدوية ومناسبتها للمرضى، وتحديد مقدار الجرعة اللاّزمة ، فلا يصحّ أن يصف دواء بناء على الشك، لأنّ عدم التّحقيق يفضي الى الهلاك، وهذا ما يشير اليه علي بن رضوان في كتابه "النّافع في كيفية صناعة الطبّ" بمشاهدة الأدوية في مبدئها وانتهاؤها ومعرفتها عيانا لا خبرا ، واختبار قواها قبل استعمالها، ويضرب لنا في ذلك مثالا عن أمر عجيب شاهده، وهو أنّ أحد الأشخاص انتحل صناعة الطبّ وجمع الأدوية، فزعم صناعة ترياق وراح يفتخر به، فأمر بإحضار ديكين وسلط عليهما حيّة، فلسعت كل واحد منهما لسعة في

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص164.

موضع واحد، وسقى أحد الديكين من الترياق فمات، وسلم الذي لم يسقى بالترياق<sup>(1)</sup>، وهذا يعني أن من يمتحن الطب ينبغي أن يكون خبيراً بالأدوية.

ومن وصايا الرهاوي التحذيرية كذلك أن لا يعجب الطبيب بمدح الآخرين له على صواب وفق اليه، ولا يجزع من دمّ لحقه نتيجة الإخفاق، ولا يتأثر برودود الأفعال الصادرة من المرضى تحت ضغط الحالة الصحية السيئة، وفي فترات غياب وعي المريض، وعجزه عن التمييز، بل عليه التسلح بالثقة النفسية، والإصغاء للواجب المهني والضمير الأخلاقي، ودليله ما قاله أبقراط: «وإذا فعلت ما ينبغي ولم يكن ما ينبغي فأنت عن فعل ما ينبغي لا تفلح ما دام الأمر كذلك»<sup>(2)</sup>.

— المطلب الثالث: إمتحان الطبيب وموضوعاته.

#### 1 - أسباب امتحان الطبيب:

إنّ امتحان الأطباء لتأهيلهم لممارسة مهنة الطب شرط أساسي، اشترطه الأطباء اليونانيون وأقرّه الرهاوي، واعتبره واجباً قبل ممارسة الطب لعدة أسباب:

أ - خصوصية مهنة الطب نظراً لتعدد إختصاصاتها، وكثرة فروعها وتداخلها مع بعضها البعض وصعوبتها، وهذا يتطلب اختيار أشخاص مؤهلين، من الناحية العلمية والأخلاقية ليكونوا أمناء على أرواح الناس وأجسادهم.

ب - حماية المرضى من الأخطاء الطبية، وقلة فرص التعويض والتدارك؛ فالخطأ في ميدان الطب ليس كالخطأ في ميادين أخرى، لأنّ الطبيب يتعامل مع الأرواح الإنسانية، فمثلاً إذا أخطأ صاحب صناعة ما في عمل ما، استيسر عليه التدارك وتصحيح الخطأ، بينما إذا أخطأ الطبيب لا يمكنه التدارك لأنّه لا يتعامل مع أجسام جامدة، وإنّما عمله مرتبط بأجسام حيّة مكوّنة تتداخل طبيعة مكوّناتها بين ما

<sup>1</sup> - علي ابن رضوان المصري، الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب، تحقيق د، كمال السامرائي، مطبعة جامعة بغداد، 1986، ص 71، و74.

<sup>2</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص167.

هو فيزيولوجي وبسيكولوجي، فيقول: « لذلك وجب تمييز الأطباء بالمحنة، وانتقادهم بالنظر والبحث، ليظهر فضل الأفاضل فتسلم اليهم النفوس، ويظهر جهل المدّعين لها فيحذر على النفوس منهم» (1).

ج - التّحقّق من الكفاءة العلميّة والعملية للطّبيب، والتّأكد من إلمام الطّبيب بالمعارف النّظرية والتّطبيقية، التي يحتاجها في اختصاصه، وقدرته على التّشخيص الدّقيق، واختيار العلاج المناسب، وتقييم خبرته في استخدام الأدوية المناسبة لكل حالة مرضية، وقياس مدى مهارته وأهليّته في توظيف معلوماته الطّبية، وإمكانية توظيف خبراته بما يعود بالنّفع على زملائه في المهنة، والمنفعة العامة للنّاس.

## 2 - جوانب موضوعات امتحان الطّبيب:

بعد جملة الأسباب التي ذكرها الرّهاوي في باب امتحان الطّبيب، يذكر الموضوعات التي يجب أن يُمتحن فيها الطّبيب من الجانبين: العلمي، والعملية (2).

### أ - الجانب العملي:

يتضمّن أسئلة عن العلم بالأطباء، وعن آرائهم ونظريّاتهم الطّبية بمختلف أجناسهم، وعن الفروقات الموجودة بينهم، ومواطن الاختلاف والإتفاق بينهم، ومدى اتّساع ثقافة الطّبيب الممتحن في مجال تخصّصه، من ناحية المعرفة النّظرية، والسلوك الأخلاقي الذي ينبغي أن يكون عليه، ويشرح ذلك بأمثلة تدعم رأيه هذا، فمثلاً يُسأل من اختصّ في علاج العين عن الأعضاء المركّبة للعين، وعن وظيفة كل جزء منها، وعن الجزء المسؤول عن الإبصار، والأدوية المفردة والمركّبة التي تُستعمل في علاج أمراض العين، ومدى قوّة كل دواء، ويُسأل من اختصّ في علم التّشريح عن مدى خبرته ومعرفته بطرق التّشريح وخصائص الأعضاء، وأنواع العروق والأعصاب

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 243.

<sup>2</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 244.

والعظام... الخ، وأن يخضع لأسئلة يُظهر من خلالها كمّية الكتب التي اطلع عليها في هذا المجال، ومحتوياتها.

### ب - الجانب العلمي:

يتضمّن أسئلة عن علم الطّبيب بطبائع الأجناس والأبدان، وطبائع الأغذية والأدوية ومركباتها، وكيفية مزج المكونات مع بعضها البعض، مع التّركيز على الجودة والدّقة واختبار فعاليتها، محذرا من التّسرع في استخدامها دون ضوابط علميّة وأخلاقيّة، والعلم بخصائص الأعضاء، فتطرح أسئلة على منوال: كيف طبع هذا المريض؟ وطبع هذا الغذاء؟ وطبع هذا الدّواء؟ وطبيعة أمزجة الأعضاء؟؛ والمقصود بها نوع الأعضاء والأوعية الدّموية، شرياني أم وريدي، والحالة التي يكون عليها من حرارة أو برودة، فلا يمكن للطّبيب أن يتقدّم في العلاج، ويتنبأ بحالة المريض إن لم يكن عالما بطبيعة المرض، وإلى أيّ نوع يصنّف من أنواع الأمراض، هذا العلم حصّله من عديد الكتب التي اطلع عليها، أو درسها على يد أستاذ عالم، وفي هذا يقول: «... يجب الآن على من ادّعى علم طبيعة بدن الإنسان، وأنّه قيّم بحفظ صحته، وبالعلاج أسقامه، أن يكون خبيرا بهذه الكتب على ترتيبها»<sup>(1)</sup>.

نستخلص أنّه من أجل تأدية الطّبيب المهام المنوطة به على أكمل وجه، حدّد الرّهاوي مجموعة من الشّروط التي يجب أن يلتزمها الطّبيب، إذ يتوجّب عليه العناية والمحافظة على صحّته النّفسية والعقليّة، والعمل بالتّصائح التّحذيرية الأخلاقية التي تقيه من مخاطر المهنة، وتعرّز من أهليته، دون إغفال شرط خضوع الطّبيب للإمتحان الذي نعتقد أنّه بالغ الأهمية، لا سيما في عصرنا الحالي، حيث كثر المحتالون، والمنتحلون لهذه المهنة النّبيلة، ومن أروع الأمثلة التي ضربها الرّهاوي

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 256.

تشبيهه البليغ لِمُنْتَحِل صناعة الطب مكرًا واحتيالًا بالذَّهرَم المزيَّف<sup>(1)</sup>، الَّذي لا يمكن معرفة مصدر أصله، إلَّا بعد إخضاعه للفحص والتَّجربة، وهذا حال الَّذي يطلب امتهان صناعة الطب، فلا يمكن التَّأكد من أهليَّته وسعة علمه الكفيلة بممارسة مهنة الطب، إلَّا بعد خضوعه للإمتحان، وتمحيص لأهليَّته العلميَّة والعقليَّة والنَّفسيَّة والأخلاقيَّة.

هذه إشارة سبَّاقة منه الى ضرورة تبني المنهج التَّجريبي، والنَّقد العلمي المتفحَّص في الميدان الطَّبي، بدعوته الى اختبار النِّظريات الطَّبيَّة عن طريق التَّجربة التَّطبيقيَّة العمليَّة، الى جانب التفسيرات العقلية القائمة على مبدأي القياس والاستدلال، إن تأكد قصور الحواس في الوصول الى التفسير العلمي الدَّقيق واليقيني<sup>(2)</sup>.

### المبحث الثالث : واجبات وحقوق الطَّبيب

أولى الرِّهَائي اهتمامًا بالجانب الوظيفي للطَّبيب من خلال ما تطرَّق اليه من الواجبات المهنيَّة والأخلاقيَّة التي صاغها في عدَّة أبواب من كتابه، تناولها من منظور ما ينبغي أن يفعله الطَّبيب، وما ينبغي أن يحذره ويتوقَّاه، وفي هذا إشارات صريحة منه لجميل الأفعال التي ينبغي أن يلزمها ويكرِّسها ميدانيًّا في عمله، وسنأتي على ذكرها فيما يلي تحت عنوان الواجبات.

#### – المطلب الأول: واجبات الطَّبيب

أ ( – العلم بأمور الأدوية والصَّيدلة : يجب أن يكون الطَّبيب ملَمًا بأمور الصَّيدلة، وما تعلق بتركيب الأدوية وفسادها، وكيفية تحضيرها ومزج مركَّباتها، وله قدرة التَّمييز بين الجيِّد منها والرَّديئ المغشوش، ومدى مطابقة الدَّواء المحضَّر مع حالة المريض بعد التَّشخيص الدَّقيق المسبق، وتحقيق ذلك لا يكون بمطالعة

<sup>1</sup> – إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 259.

<sup>2</sup> – إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 209.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

الكتب فقط، بل ينبغي أن يتعلمه من المختصين في مجال الصيدلة، وممن يتكفلون بتحضيرها وحفظها وتخزينها.

كما يتوجب عليه العلم بخصائص الأدوية المركبة المستخلصة من عدة أخلاط وأمزجة، ضمانا لجودة المكونات، وطرق التحضير، كالسحق، أو الخلط، والعلم بالأدوية المفردة ذات النوع الواحد، مع إلزامية التيقظ والتبصر عند تقديم الدواء للمريض بالنظر إليه قبل استعماله، كالنظر الى زمن التحضير ومدة الصلاحية، والمعرفة بخواص ومميزات كل دواء، والمقدار المطلوب والمحدد لكل جرعة، ووقت تناولها، كما يتطلب منه فهم التفاعلات بين مكونات الأدوية، سواء أكانت تتجانس وتتناسب مع بعضها فتزيد من درجة الفعالية، أو تتعارض ولا تتناسب عند المزج فتسبب أضرارا عكسية على صحة المريض.

لذلك لزم ضبط الجرعات بدقة لتحقيق العلاج، مع مراعاة العوامل الشخصية للمريض في حد ذاته، مثل معدل العمر، ونوع الجنس، وطبيعة المزاج، والبيئة التي يعيش فيها، تقاديا لإلحاق الضرر بالمريض، أو تقديم أدوية مضاعفة المفعول تتسبب في إسقاط أجنة الحوامل، أو تؤدي الى الهلاك.

ومن الأفضل في نظر الرهاوي البدء بالأدوية المفردة واختبار فعاليتها ومدى تجاوب صحة المريض مع هذا الدواء، فإن ثبت عدم فعالية الأدوية المفردة ينتقل إلى الأدوية المركبة<sup>(1)</sup>.

(ب) - القدرة على القياس والاستدلال: بأن يمتلك الطبيب المهارة في تفسير علامات الأمراض، والعلل وأعراضها، فلا يكتفي الطبيب بملاحظة المظاهر الحسية، وما يسمعه من شكوى المريض فحسب، وإنما يتجاوزه الى القياس على حالات أخرى مشابهة، والى الاستدلال انطلاقا من تحليل أعراض المرض وصولا

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، المصدر السابق، ص 174، 176.

الى معرفة مسبباته الحقيقية، وهذا ما يؤكده الرّازي بقوله: «ينبغي للطبيب أن لا يدع مُسألة المريض عن كل ما يمكن أن تتولّد عنه علّته من داخل ومن خارج ثم يقضي بالأقوى»<sup>(1)</sup>.

يأخذ الطّبيب في ذلك بعين الاعتبار الوضع الصّحي للمريض، ومعدل العمر، والعلم بطبائع الفصول... الخ، و يتمّ هذا عن طريق المُسألة التي يخضع لها المريض ومن يقوم بخدمته، بتوظيف الخبرة والمهارة التي اكتسبها من التّشريح، وأجراء الفحوصات والتّحاليل الطّبية اللاّزمة، لأنّ بعض العلل لا يجد لها علامة واضحة بجسم المريض، وإنّما يكون سببها اضطراب نفسي مثل الخوف، الإنفعال النفسي الشّديد، التوتّر والقلق، وهذا ما أكّده الرهاوي بقوله: «من أصحاب المالنخوليا»<sup>(2)</sup> وغيرهم، ممّن تداخلهم الرّعب والفرع من أشياء فذابت أبدانهم، واصفرت ألوانهم، فلم يقدر فيهم على علامة تدلّ على مرض... فيحتاج أن يكون الطّبيب لذلك ذكياً فطنا لاستخراج السّبب، ولمقابلته بالحيلة»<sup>(3)</sup>.

(ج) - الدّفاع عن المهنة: يتوجّب على الطّبيب الدّفاع عن شرف المهنة بدحض تزعمات المنتحلين، وكشف حيل المحتالين ممّن يقترحون أدوية تبدو في ظاهرها نافعة كالمخدّرة والمنومة، ليظهر لأهل المريض أنّها تمنح الرّاحة والسّكون، فتطمئنّ لها أنفسهم، بصدق قوله: «وقصدهم في جملتها أن يعملوا أعمالاً تشبه في الظّاهر

<sup>1</sup> - ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص 421.

<sup>2</sup> - المالنخوليا أو الماخوليا: هي مصطلح يوناني مركب من لفظين مختلفين يتكاملان معا في تشكيل دلالته: (Melanos) وتعني الأسود (kholé) وتعني المرارة، والتظافر بين اللفظين يدلّ على الغدة المسؤولة على تخزين وافراز خليط السوداء وتحريره في الجهاز الهضمي، وقد عرّفها الطب الحديث أنّها حالة من الطب الاضطراب النفسي الإكتئابي. حسب تصنيف الجمعية للطب النفسي. تظهر آثارها بوضوح في الجانب الإنفعالي لشخصية المريض، وهي من أكثر الإضطرابات النفسية شيوعا في العالم، وتستلزم تدخل الطب النفسي للخروج من هذه الحالة المرضية. [ القلسي عبد الرزاق، الإكتئاب والطب النفسي في الحضارة العربية الإسلامية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 1436هـ/2015م، ص 4].

<sup>3</sup> - أنظر: إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 273.

الأعمال الصّحيحة... وإذا تأمل المتأمل باطن تلك الأعمال وجدها مخرقة، وحيلة وباطلا لا حقيقة له، لا في علاج المرضى ولا في حفظ الأصحاء»<sup>(1)</sup>، وهذا العمل يتطلب من الطبيب الذكاء والفطنة لإبطال الحيل ومواجهه الخصوم، ومحاربة السلوكات التي تبدو من ظاهرها صحيحة وحسنة لكن في مبطنها تعكس صورة تسيء الى أعمال الطب.

(د) - الصدق والإخلاص في الممارسة الطبية: يعتبر الصدق والإخلاص في العمل من الدّعائم الأخلاقية الرئيسة التي أكد عليها الرهاوي، حيث يحث الطبيب أن يتحلّى بالصدق في القول والعمل عند التشخيص، وأثناء مساءلة المرضى دون مبالغة، أو تنقيص من خطورة الحالة، كما يحذر من الكذب في وصف العلاج، أو الإستهانة بخطورة المرض لإرضاء المريض.

و الإخلاص في أداء الواجب المهني يقتضي الحذر من طلب الرّفعة، والمكانة الشريفة بطرق الغش، والإحتيال، أو السّعي لجمع المال، أو طلب الشهرة، لأنّ خلاف ذلك يزعزع ثقة المرضى تجاه الطبيب<sup>(2)</sup>، فالنّقة ليست مجرد مصطلح يراد منه وسيلة لتحقيق الشّفاء، بل هي قيمة أخلاقية سامية تكرّس قدسيّة الحياة الإنسانية.

(هـ) - تحمّل المسؤولية: من واجبات الطبيب أيضا تحمّل كامل المسؤولية عن نتائج كل فعل، أو تقدير علاجي في كل الحالات، إيجابا أو سلبا، أمام الله أولا، ثم أمام المريض والمجتمع، ومقتضى ذلك أن يحتاط لنفسه في تأديّة واجبه من الوقوع في الأخطاء الطبية، حتى لا يتحمّل أوزار زملائه في المهنة في حال حصول أيّ مضاعفات ناجمة عن أخطائهم الطبية.

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 270.

<sup>2</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 269.

(و) — كتمان السر المهني: يجب على الطبيب التحلي بالأخلاق الحسنة والفضائل من الصفات والأفعال الإنسانية المنضوية تحت الآداب الحسنة، كاللطف والشفقة، واللين والرحمة، والرّفق والعفة، وتسخير كل إمكاناته لخدمة كافة الناس دون تمييز، استناداً لقوله: « وعلى الطبيب الذي قد شرّفه الله بفضل علمه أن يستعمل العدل مع الفقراء والضعفاء، ليكون نفع صناعة الطب عاما شاملا للقوي والضعيف»<sup>(1)</sup>، محتفظاً في نفسه بأمانتهم، ومتحفظاً على أسرارهم، دؤوباً على كتمان أسرارهم، وصون خصوصياتهم، وستر عوراتهم، محذراً إياهم من الوقوع في رذائل الآداب، خسيّسها كالشّح والجور، والكذب والمكر والخداع، غايته في ذلك بلوغ رضى الله، وبلوغ الفضائل علماً وعملاً.

(ز) — الإلتزام بالتطوير المهني: يتوجب على الطبيب الذي يسعى لبلوغ النجاح في مهنته الإلتزام بالتكوين الذاتي، والحرص على التّحصيل العلمي المستمر، بالإطلاع على مستجدّات الإصدارات العلميّة، وتصفّح مآثرات علماء الطبّ السابقين، ويشير الى هذا بقوله: « يجب على الطبيب أن تكون همّته ليله ونهاره للدّرس والإهتمام بعلم صناعته »<sup>(2)</sup>، يسلك ذلك من أجل اكتساب المهارة في التّشخيص، والإستبصار بمصالح النفوس والأبدان.

على هذا الأساس يعتبر واجب الإلتزام بالتطوير المهني المستمر والتّكوين مدى الحياة مطلب أساسي لتطوير الحياة المهنية للأطباء، والرّفق من كفاءتهم اللّازمة لممارسة الواجب المهني من الجانبين العلمي والعملّي، ومن مردودهم المهني، قصد تلبية احتياجات المرضى والإستجابة لأولويّاتهم الصّحية.

(ح) — التوثيق الطّبي: يقع على عاتق الأطباء في نظر الرّهاوي واجب أخلاقي يتضمّن التوثيق الدّقيق لحالة المرضى بتقارير طبيّة في سجلات مخصصة لهذا

<sup>1</sup> — إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 287.

<sup>2</sup> — إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 218.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

الغرض، يتمّ فيها تدوين المعلومات الشخصية الخاصة بالمريض، والحالة الصحيّة بداية من تاريخ أول خضوع للفحص، وملاحظات الفريق الطّبي حول تحسن العلاج، أو تطوّره نحو الأسوأ<sup>(1)</sup>، للعودة إليها إن دعت الحاجة.

هذا يحيلنا الى القول بأنّ الرّهاوي كان على وعي تامّ بأهميّة التوثيق الطّبي، وأثره في ضمان استمرارية الرّعاية الصحيّة، وتحسّن الخدمات المقدّمة، إذ يساعد التوثيق الدّقيق على معرفة الإجراءات الطّبية المتّخذة طيلة المدة التي مكث فيها للعلاج والإستشفاء، تجنّباً للتكرار والتناقض في التّشخيص والعلاج، هذا أولاً، وثانياً حماية للطّبيب في حال حصول أيّ مضاعفات خطيرة، أو أخطاء طبيّة تخصّ المرضى.

ومجمل القول أنّ الرّهاوي أحاط في كتابه "أدب الطّبيب" بجملة واجبات الطّبيب المهنيّة والتزاماته الأخلاقية نحو المرضى، وتجاه الإنسانية عامّة، دعماً لصحّة الأصحاء ورعاية لصحّة المرضى، مع الإشارة ضمناً الى بعض الحقوق الأساسيّة التي تحفظ كرامة الطّبيب، وتكفل حمايته، وحصانته المهنيّة، وما استخلصناه نذكره في المطلب التالي.

### – المطلب الثاني: من حقوق الطّبيب.

(أ) – الحق في الأجر: فمن حق الطّبيب السّعي الى السّعادة الدّنيويّة المقترنة بتحصيل الفوائد الماديّة المتمثّلة في العائدات الماليّة، ولكن شرط أن يكون تحصيلها بالكسب المشروع بعيداً عن الغشّ والإحتيال، وأن لا يبالغ في الحصول على الأجر من خلال استغلال حاجة المريض، ومواقف ضعفه، وإنّما يلتزمه بعلمه وعمله في ميدان تخصّصه، كسائر أهل الصّناعات الجليّة، والمهن النّافعة والشّريفة.

<sup>1</sup> – إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 265.

فالأجر الكافي يساعد الطبيب في الإستمرار في مهنته وتطويرها، ولا يضطره ضيق الحال لتركها، والبحث عن مصادر أخرى للعيش، ويُفهم ذلك من قول الرهاوي: «إن تشاغل بصناعة أخرى ليكتسب منها وبها الدراهم، عدل عن صناعة الطب، فقلّ فهمه وعلمه بها»<sup>(1)</sup>، لأنّ عِوز الطبيب وفقره يضعف من همّته وعزيمته، وبالتالي تقلّ هيئته وثقة المرضى به، والعكس إن توفّر العنصر المادي الذي يساعده في تدبير شؤونه العائلية والاجتماعية.

**(ب) – توفر الظروف الملائمة:** وينضوي تحت هذا الحق توفير المستلزمات الطبية والوسائل اللازمة، والإمكانات الضرورية منها لاستمرار ونجاح العمل الطبي، ضمانا لاستقرار الأطباء، وجودة الرعاية الصحية المقدمة للمرضى، بالإستعانة بإسهامات المجتمع المدني من ميسوري الحال، على حدّ قوله: «فمن الواجب أن يقوم الموسر للطبيب بمصالحه»<sup>(2)</sup>، ليكون نفع صناعة الطب عاما شاملا لجميع أطراف المجتمع، وهو الدور الذي لحق بالحكام، ونظرت اليه الدولة العصرية في وقتنا الحالي بعناية، فتكفّلت بتوفير الظروف التي تساعد الأطباء على أداء واجبهم المهني على الوجه المأمول.

**(ج) – حق الحصانة:** وهو أن تتوفّر للطبيب الحصانة الكافية في محيط مهنته، وأن تنهياً له الظروف الملائمة التي بها يتحقّق له الإقتدار على تأدية واجبه، وتحقيق المنافع والمصالح الشاملة للعامة، دون الإخلال بواجب تحمّل المسؤولية في حالة الخطأ الناجم عن سوء التشخيص، أو مُجانبة الصّواب في وصف الدّواء، فيخضع للمساءلة والتّحقيق في الحادثة من قبل لجنة تحت اشراف فريق طبيّ وأهل اختصاص لهم دراية بالطبّ، فيقول: «فإن كان العلاج والتّدبير موافقين انصرف

<sup>1</sup> – إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 287.

<sup>2</sup> – إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 287.

مشكورا... وان كان الأمر بخلاف ذلك ناله ما يستحقه ولم يعاود الى الصناعة إن كان الغلط أوجب القتل»<sup>(1)</sup>.

(د) - حق الحماية والتشريف: من حق الطبيب أن يُحضى بالحماية المطلقة من الإعتداءات الجسدية، والعنف اللّفظي الذي قد يصدر من طرف المرضى، أو من خدمهم وذويهم، أو من بقية شرائح المجتمع عامّة، بل يستحقّ التّكريم والتّشريف استحقاقا لمكانته العلمية والاجتماعية، ولشرف الواجب المهني، وما يقدّمه من خدمات نبيلة لنفع الإنسانية؛ وفي هذا يقول الرّهاوي: «لذلك وجب على أهل العقول إكرام المتحقّقين بصناعة الطب وقاصدي حقيقتها»<sup>(2)</sup>.

(هـ) - حق الإطلاع على الحالة الصّحية للمريض: يدخل ضمن ذلك اطلاع الطّبيب على الأسرار الصّحية للمريض وملفه الطّبي، وكل ما يساعده في التّشخيص العميق والوصف الدّقيق لخطوات العلاج، لكن بشرط أن لا يتجاوز الطّبيب الحدود اللاّزمة كالأسرار الشّخصية الخاصّة بالمريض التي ليست لها علاقة بالمرض، ويتجنّب كل ما يمكن أن يسيئ لكرامة المريض قصدا أو سهوا، كواجب ديني وأخلاقي.

(و) - حق الطّاعة: يرى الرّهاوي بما أنّ الطّبيب يمتلك سلطة معرفية كافية في ميدان تخصصه، فمن حقّه إلزام المريض وعوّاده طاعته واتباع كل ما يقدّمه من نصائح وإرشادات صحيّة لدوام العافية، وعدم مخالفة أوامره، وإتيان نواهيهِ في كل ما يتعلّق بصحّة المريض، والإلتزام بتعاليمه الطّبية، كاتّباع النّظام العلاجي وعدم التّهاون فيه، فيقول: «وأوّل هذه الوصايا تقدّم الإنسان مع ابتداء مرضه الى أهله وخدمه بقبوله من طبيبه ما يأمرهم به من سائر تدابير مرضه ويحذّرهم من

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 265.

<sup>2</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 215.

## الفصل الثاني — أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي

مخالفته»<sup>(1)</sup>، لكي يتجنّب التجنّي على نفسه أو يعيق مسار العلاج، لأنّ مخالفة التّعليمات الطّبيّة تؤدي في أغلب الأحيان الى تفاقم المرض أو الهلاك الحتمي في آخر المطاف.

ممّا ذكر في مبحث الحقوق والواجبات نجد أنّ الرّهاوي أسّس لرؤية استشرافية حقيقيّة لأخلاقيات الطبّ، حيث ركّز في طرحه على تنظيم العلاقة المتبادلة بين الطّبيب والمريض والمجتمع، وصاغها بنظرة علمية أخلاقية شاملة للجانبين النّظري والتّطبيقي، وهذا ما يؤكّد واسع نظره، وسعة إطلاعه، وحرصه على تنزيه مهنة الطبّ من مساوئ الأداب، وأنّ الممارسة الطّبية في حقيقتها مهنة إنسانية راقية تتطلب توازن الكفاءة العلميّة والنّزاهة الأخلاقية في نظره.

<sup>1</sup> - إسحاق بن علي الرهاوي، مصدر سابق، ص 200.

# \* الفصل الثالث \*

مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي.

المبحث الأول: مقارنة من حيث الطبيعة والمصدر.

المبحث الثاني: مقارنة من حيث الخصائص.

المبحث الثالث: توصيات عامة حول أخلاقيات الطب.

### المبحث الأول: مقارنة من حيث الطبيعة والمصدر

إن ممارسة مهنة الطب تتطلب الكفاءة العلمية والمعرفة والمهارة العملية المقيّدة بمجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية الضابطة لهذه المهنة، والمحدّدة في نفس الوقت لواجبات وحقوق الطبيب، هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية تستمدّ روحها من مرجعيات مختلفة تُنظّمها وتحدّد واجباتها، وتعدّ بمثابة مواثيق وِدساتير طبيّة تسهر على توفير وحفظ الحماية الصحيّة للمجتمعات والشعوب، هذه الأخيرة تتغيّر وتتطوّر بتغيّر مستجدّات ومتطلّبات كلّ عصر.

فالمبادئ الأخلاقية المتعلّقة بمهنة الطب لا يمكن فصلها عن ثقافة المجتمعات وحضارات الأمم، إذ هي بذاتها مرتبطة إرتباطاً وثيق الصّلة بجوانب تتعلّق بالدين والثقافة، والتقاليد والحياة الإجتماعية، فأخلاقيات الطب التي أقرتها الأمم السابقة ضمن مسار التطوّر التاريخي للحضارات الإنسانية، بما فيها أخلاقيات حمورابي، وقسم أبوقراط، وإسهامات جالينوس، وغيرهم من رواد الفكر الأخلاقي في مجال الطب، هي ليست نفسها أخلاقيات الطب في التّراث العربي الإسلامي، حتى وإن كانت لها نفس الغاية، وهذا يرجع الى طبيعة المنشأ وخصوصيّة المصدر<sup>(1)</sup>، وبعض الاختلافات من حيث المنطلقات الفكرية، وجِدّة الإلزام والوجوب، ومعيّار الدّيمومة والثّبات، ومبدأ المسؤولية والجزاء.

وأبرز نقاط تفوّق منظومة الأخلاق الطبيّة في الإسلام على نظيراتها من المنظومات الأخلاقية الأخرى لاسيما الغربيّة، نلتمسها في فيما يلي:

<sup>1</sup> - أحمد الشريف، الأخلاق الطبية، دار الكتب العلمية، نغز، الجمهورية اليمنية، ط2، 2011، ص7.

### — المطلب الأول: مقارنة من حيث الطبيعة.

تشكّل أخلاق الطبيب في الإسلام مجموعة القيم والمبادئ العليا التي يستمدّها الطبيب المسلم من مصادر الشريعة الإسلامية وأولها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

هذه الأخلاق تحدّد سلوك الطبيب وتوجّهه في مهنته الطبية، وتكون بمثابة المعايير التي يجب عليه الالتزام بها، وبموجب هذه المعايير تُقيّم أعمال الطبيب المسلم ويتمّ الحكم عليها، فإن كانت خيرة يستحقّ عليها الثواب، وإن كانت شريرة استحقّ عليها العقاب.

فأخلاق الطبيب في الإسلام هي جزء لا يتجزأ من المنظومة الأخلاقية الإسلامية التي هي في حقيقتها من صميم مقاصد الدين الإسلامي، والتي تعتبر في حدّ ذاتها أوامر وضوابط شرعية يلتزم بها المكلف بمهنة الطب، وهي بعيدة كلّ البعد عن الأهواء والمصالح الشخصية، والنزعة البراغماتية، هذه السمة في الأخلاق الإسلامية ميّزتها عن المنظومات الأخلاقية الأخرى.

فمثلا منظومة الأخلاق الطبية في الفكر الغربي تتأسّس على منظور فلسفي، يُترجم آراء فكرية لمجموعة من الفلاسفة والمفكرين، غايتهم في ذلك تأسيس قوانين أخلاقية ذات طبيعة نفعية خاضعة لميولات وأهواء نزواتهم الشخصية، متأثرة بالثقافات والبيئات الاجتماعية الخاصة بكل فيلسوف أو مفكر، وهذه القوانين الأخلاقية الوضعية هي وسيلة لتحقيق غايات ترتبط بقواعد المصلحة ومذهب اللذة<sup>(1)</sup>، فهي بهذا الشكل أخلاق وضعية معيارية لا تحمل أحكاما كلية شاملة، وتستند في منطلقاتها الى عوامل ذاتية، صادرة من ذات الفرد الذي يُصدر أحكاما حسب تصوّره، واعتقاده الشخصي، لذلك نلاحظ التباين في القوانين الوضعية، ونشهد اختلافات في وجهات النظر حول

<sup>1</sup> — هناء محمود عبد المجيد محمد، أخلاق الطبيب بين الفكر الفلسفي الغربي والفكر الإسلامي "دراسة مقارنة"، مرجع سابق، ص 115.

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

طبيعة الخير والشر باختلاف المذاهب الأخلاقية، فيرى البعض أنّ الخير يكمن في اللذة، بينما يرى آخر أنّ مصدره المنفعة، ويتصوره غير أولئك في أداء الواجب للواجب<sup>(1)</sup>، وبالتالي نلمح تضارب الآراء حول المثل الأخلاقية العليا التي يعتقدها كلّ فرد.

بخلاف ذلك نجد الأخلاق الطبية الإسلامية لها قيمة إنسانية، وليست غايتها تحقيق المنفعة أو اللذة، فهي مستنبطة من الدين عملاً بالمسلمة التي تقول: "لا أخلاق بغير دين"<sup>(2)</sup>، فهي مرتبطة بالدين الإسلامي بطريقتين؛ إمّا بطريق مباشر، وذلك باستنباطها من الوحي الإلهي، والإسوة الحسنة بأفعال وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بطريق غير مباشر بإقتباسها من تعاليم الدين الإسلامي والعمل بمقتضى مقاصد الشريعة، أو من الأخلاق الوضعية بعد إخضاعها للقياس والاجتهاد بتدخل العقل البشري عند غياب قاعدة أخلاقية صريحة في القرآن أو السنة<sup>(3)</sup>، مع وجوب التأكد من ملاءمتها مع الأخلاق التي أقرها الإسلام.

ومن هنا يتحدّد الفرق بين الأخلاق الطبية الإسلامية والأخلاق الغربية، باعتبار أنّ الأخلاق الإسلامية دينية، والأخلاق الغربية مُستندة الى قوانين وضعية.

### – المطلب الثاني: مقارنة من حيث المصدر.

تختلف الأخلاق الطبية في الإسلام عن نظيرتها في الفكر الغربي من حيث المصدر والأسس الفكرية، فالأخلاق الطبية في الإسلام مصدرها رباني ثابت، لا يتأثر بتغيّرات الزّمان والمكان، أو الظروف والأحوال.

<sup>1</sup> – يعقوب المليحي، الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1985، ص 23.

<sup>2</sup> – جمال بن صالح الجار الله، أخلاقيات الطب، كلية الطب، جامعة الملك سعود، ط 1، 2022، ص 72.

<sup>3</sup> – حسان شمسي باشا، محمد علي البار، الأخلاقيات الحيوية الغربية والإسلامية، مجلة ابن سينا الطبية، جدة، المملكة العربية السعودية، يناير – مارس 2013، ص 9.

### الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

بالمقابل فإنّ الأخلاق الطّبيّة في الفكر الغربي وضعيّة المصدر لا تعتمد على مصادر دينيّة حقيقيّة أو إلهيّة؛ بل مصدرها الإنسان، ظهرت نتيجة تطوّر أفكار الفلاسفة والمفكرين والعلماء على مرّ التّاريخ، فمرجعيّاتها متعدّدة كالعقل والعُرف الاجتماعي والضّميم الجمعي والقانون الطّبيعي، والخبرة الاجتماعيّة، وغيرها من المرجعيّات، بالإضافة الى الفكر العلماني الغربي الذي يفصل الدّين عن الدّولة والقانون.

هذه المرجعيّات بالرّغم من إيجابيّاتها التي تتقارب مع المنظور الإسلامي في بعض الحقوق والواجبات، كالمعاملة الرّحيمة، وكتمان السرّ والإهتمام بحقوق المريض، إلّا أنّ سلبيّاتها تتجاوز الإيجابيّات، حيث أنّها تؤدّي الى انتشار القيم الماديّة والفردية على حساب القيم الرّوحية والاجتماعيّة، وتساهم في تراجع الأخلاق المستندة الى المرجعية الدينيّة الثّابتة التي تستمدّ تشريعاتها من نصوص مقدّسة، وهذا ما يؤدّي في غالب الأحيان الى مخالفة الأخلاقيّات وتبني أخلاقيات تتعارض مع الشّرائع الدينيّة، مثل الإباحية، والإجهاض، وعمليات التحوّل الجيني ومنع الحمل، والمتاجرة بالأعضاء البشرية، حيث تشير الإحصائيّات الى أنّ شركة روسية باعت 1700 كلية وقلب ورئة، و1400 كبد، و2000 عين بشرية<sup>(1)</sup>، وهذا يعبر عن تعدّد صارخ على أخلاقيات الطبّ وعلى حقوق الإنسان.

فأخلاقيات الطبّ الغربي لا تحصى بالثّبات، بل متغيّرة بتغيّر الزّمان والمكان وخاضعة لتغيّر الظروف والأحوال، فالعقل البشري محدود القدرة، والعرف الاجتماعي متباين ومختلف من مكان الى آخر، والضّميم الجماعي تتحكّم فيه طبيعة النّقافة والظّروف الاجتماعيّة والأحداث التّاريخية؛ لذلك لا تصلح هذه العوامل أن تكون مصدرا صحيحا للقيم، فالأخلاق بناءً على ذلك تدخل في دائرة الأوامر والمنهيات

<sup>1</sup> - محمد بن لطفي الصّباغ، أخلاق الطّبيب، جمعية الكتاب والسّنة، الأردن، ط3، 2011، ص24.

### الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

القسريّة التي يحددها القانون الوضعي، بينما الأخلاقيات الطبيّة المستمدّة من أصول الشريعة الإسلاميّة تدخل في دائرة الواجبات الدّينية النّابعة من مصدر ربّاني ثابت.

من هذا المنطلق يظهر الإتّجاه الأخلاقي في الإسلام بصورة واضحة، تعبّر عن قدسيّة المصدر وعظم تأثيره، وانعكاساته الإيجابية على المعاملات الإنسانيّة التي تحتكم الى الوازع الدّيني، وتحترم قدسيّة الحياة البشريّة التي حتّ عليها القرآن الكريم في قول الله جلّ في علاه: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ (1).

ومن هنا يظهر تفوّق المصدر الرّباني على مختلف المصادر والأسس الفكرية الأخرى، ويتميّز الطّبيب المسلم في سلوكه الأخلاقي وانضباطه المهني أثناء تقديم خدمات الرّعاية الصّحية على نظيره الغربي الذي يعتمد على الأخلاقيات الطبيّة ذات المصدر البشري التي تتجاوز القيم الدّينية وتعارضها في بعض الأحيان.

#### المبحث الثاني: مقارنة من حيث الخصائص.

لما كانت الأخلاق الطبيّة في الإسلام مبنية على أساس ربّاني متكامل، والأخلاق الطبيّة في الفكر الغربي تستند على المصدر البشري الذي يكتفه النقصان والتّذبذب، سنقوم بدراسة مقارنة بين منظومة الأخلاق الطبيّة الإسلاميّة ونظيرتها الغربيّة لتبيان الخصائص المميزة لكل منهما فيما يتعلق بالثّبات والديمومة، والمسؤوليّة والجزاء، والطّاعة والالتزام.

#### — المطلب الأوّل: خاصية الدّيمومة والثّبات.

من الخصائص الجوهرية التي تُميّز الأخلاق الطبيّة الإسلاميّة عن غيرها خاصية الدّيمومة والثّبات بسبب مصدرها الرّباني؛ كونها تكاليف وأوامر إلهية تجعل

<sup>1</sup> - القرآن الكريم، سورة المائدة، ( الآية: 32).

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

مُمتن هذه المهنة النبيلة ملزم ومُنقاد لهذه الأوامر الصادرة عن السلطة الرئانية طواعية؛ مما يجعلها تحضى بالإحترام والانقياد التلقائي، إذ لا يمكن إلغاؤها، أو إسقاطها نتيجة نزوات شخصية أو مصالح نفعية، كما يمكن اعتبارها حقوقاً للمرضى وواجبات ملزمة على الطبيب، مكفولة بقوة الدين ثابتة ودائمة، لا تتأثر بقوة الإرادة الفردية ولا بإرادة المجتمع ولا بمؤسساته المختلفة.

فالتَّبيب المسلم عليه أن يتخلَّق بمكارم الأخلاق طيلة مساره المهني، فلا يتأثر لا بالظُّروف ولا بالمواقف، ولا يخضع لسلطة الأفراد لتلبية حاجياتهم الدَّاتية؛ وإنَّما دأبه في كل الأحوال رعاية المرضى وخدمتهم مُتخلِّياً بالأخلاق الرئانية، فلا يتغيَّر خُلُقُه مع الفقير أو الغني، ولا مع الضَّعيف أو القوي، ولا في حالة رضاه أو سخطه، ولا في حالة حُبِّه أو بُغْضه، ولا في حالة خلوته مع مريضه أو بمعِيَّة عُوَّاده، ولا كونه رئيساً أو مرؤوساً، وهذا الثَّبات يجعل التَّبيب المسلم يتحلَّى بمكارم الأخلاق طاعة لله، وليس لنوازع المصالح، أو الأهواء الشَّخصية<sup>(1)</sup>.

فالدَّيمومة في مفهومها تعني الإستمرارية وعدم الزوال، والثَّبات يعني عدم التَّغيُّر أو التَّدْبِذ، والقصد كلُّهُ أنَّهما لا يختلفان باختلاف النِّقَاطات والأزمنة، بل صالحة لكل عصر ومكان، وغير قابلة للتَّحريف أو التَّغيُّر، فالدَّيمومة والثَّبات في الأخلاق الإسلامية مصدرها من عند الله تعالى، الذي يعلم ما يصلح للبشر في كلِّ الأزمنة. وثبات الأخلاق لا يعني جُمودها، بل يعني ثبات المبادئ التي قامت عليها مع شرط المرونة والقابلية للتَّطبيق، ممَّا يجعلها قادرةً على مواكبة التَّطورات والمُستجدَّات العصريَّة التي تفجَّرها الوتيرة المتسارعة في ميدان الطب، دون أن تفقد هذه الأخلاق جوهرها.

<sup>1</sup> - أمير محمد المدري، مرجع سابق، ص55.

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

ومن الأمثلة التي تدلّ على مرونة الأخلاق الإسلامية، وعدم تعصّبها وانغلاقها على نفسها، وقدرتها على مواكبة تطوّرات العلم الحديث، قضية التلقيح الاصطناعي، فمن حق الأزواج الذين يعانون صعوبة الإنجاب لأيّ سبب أن يلجؤوا الى التلقيح الاصطناعي، وهذا دليل قاطع على مسايرة الأخلاق الطبية الإسلامية لتقنيات الأبحاث العلميّة المعاصرة، لكن في إطار الضوابط الأخلاقية الدّينية، والثّقافة السائدة في المجتمع الإسلامي<sup>(1)</sup>.

مقابل ذلك نجد في الفكر الفلسفي الغربي أنّ أخلاق الطّبيب تتأثّر بالتوجّهات الفكرية والأراء المختلفة، بسبب مصدرها البشري الوضعي، هذه الأخلاق التي تعدّ واجبات على الطّبيب وحقوق للأفراد، إلّا أنّها حقوق اعتبارية تتحكّم فيها النصوص القانونية الوضعية، ممّا يجعلها عرضة للتغيير والتّبديل بفعل التّيارات الفلسفية المتغيّرة التي ترفع شعار النسبية الأخلاقيّة، ممّا يجعلها في حالة تطوّر وتغيّر مستمر دون مراعاة لجوهرها الأخلاقي، حتى وإن كانت بعض الجمعيات الطبيّة تدعو لتبني قوانين ثابتة نسبياً كقضيّة السّريّة الطبيّة والعدالة، لكنّها في الأصل تظلّ عرضة للتّعديل نتيجة اصدار الأحكام الخُلقية بناءً على العوامل الدّاتية<sup>(2)</sup>.

على هذا النحو فإنّ الأخلاق الطبيّة الغربيّة تتميّز بثبات جزئي، نظراً لتأثّرها بالسياق الثّقافي والقانوني المتغيّر، وتحديات التّكنولوجيا المعاصرة المستمرة، في ظلّ غياب مرجعيّة دينيّة موحّدة، فيما تبدو الأخلاق الطبيّة الإسلامية أكثر ثباتاً واستمراريّة لاستنادها على مرجعية دينيّة ثابتة، وارتباطها بمصدر إلهي مُنزه.

<sup>1</sup> - أحمد رجائي الجندي، عجيل جاسم النشمي، توصيات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، سلسلة مطبوعات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، الكويت، ط1، 2024، ص100.

<sup>2</sup> - يعقوب المليحي، الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، مرجع سابق، ص22.

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

إذن فالأخلاق الإسلامية أخلاق قرآنية مُطلقة وشاملة وثابتة بثبوت مصادرها، فهي مجردة من صفة النسبية والتبديل، فالنظام الأخلاقي القائم على أسس الدين الإسلامي لا يقبل أيّ تغيير أو تبديل مهما تغيرت الأزمنة والأمكنة.

### — المطلب الثاني: خاصية الإلزام والوجوب.

يعتبر الإلزام أو الإلتزام من الدّعائم الهامّة التي يرسو عليها أيّ نظام أخلاقي، وبانعدامه يُفرغ النّظام الأخلاقي من محتواه الأساسي، ومعناه أنّ الإنسان يلتزم بالمُثل العليا ويعمل بمقتضاها ويتجنّب ما يُنافيها من أفعال وأقوال، إذ يعدّ الإلزام العماد الأساسي الذي يدور حوله النّظام الأخلاقي لأيّ أمة، فإذا انعدم الإلتزام انعدمت معه المسؤولية، وبالتالي لا يتحقّق العدل ولا تستقيم أمور الحياة<sup>(1)</sup>.

إنّ الأسس الأخلاقية وما تتضمّنه من التزام بالواجب تجعل الفرد يشعر بضغط مفروض عليه من الدّاخل فيما يتمثّل في الضّمير الخُلقي والوازع الديني، أو مفروض عليه من الخارج فيما يتمثّل في القوانين الوضعية والعادات والتقاليد<sup>(2)</sup>.

من هنا نجد أن أخلاق الطّبيب المسلم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الإيمانية، فخاصية الإلزام والوجوب في الأخلاق الطّبية الإسلامية ليست مجرد توجيهات اختيارية، بل هي واجبات يلتزم بها الطّبيب وجوباً، كونها نابعة من إعتقاد ديني راسخ بتنفيذ أوامر الله ونواهيه طواعيةً وابتغاء مرضاته.

خلافاً لذلك نجد الطّبيب في الفكر الفلسفي الغربي ليس لديه باعث داخلي، أو وازع ديني يدفعه للإلتزام بالضوابط الأخلاقية، بل يتقيّد بما تُمليه قوّة الضّغط الاجتماعي واحتياجاته وفي هذا يقول هنري برغسون: « إنّنا نوذّي الدّور الذي عيّنه لنا

<sup>1</sup> - جمال بن صالح الجار الله، مرجع سابق، ص 50.

<sup>2</sup> - هناء محمود عبد المجيد محمد، مرجع سابق، ص 119.

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

المجتمع، ونَتَّبِع الطَّرِيق الَّتِي رَسَمَهَا لَنَا، ثُمَّ نَسْلَمُ قِيَادَنَا لِهَذِهِ الطَّرِيق...وذلكم هو ما يُسَمَّى عادة: بالوفاء بالواجب»<sup>(1)</sup>.

من هذا القول نستخلص أنَّ الإلزام الأخلاقي للإنسان الغربي مُقَيَّد بالقوانين الوضعية الَّتِي يرسمها المجتمع، إِمْتِثَالًا لِمَبْدَأِ الوفاء بالواجب، وَضِمْنَ هَذَا هَذَا السِّيَاق تتصوَّى الأخلاق الطَّبِّية فِي الغرب، وَبِمَا أَنَّ قَوَانِين المجتمع تتغَيَّر بتغَيِّرات الظُّروف والبيئات الإِجْتِمَاعِيَّة؛ فَإِنَّ الأخلاق الطَّبِّية تَابِعَةٌ لَهَا يَمَسُّهَا هَذَا التَّغْيِير، وَبِالتَّالِي يَصْبَحُ الإِلْتِزَامُ بِالوَاجِبِ الأخلاقي نسبي يتأثَّر بالقوَّة القاهرة للحياة الجماعية.

فَالْقَوْلُ بِأَنَّ الأخلاق الغربية ذات طبيعة وضعية، لَا يَعْنِي أَنَّهَا لَا تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا قِيَمَ أخلاقية حَسَنَةٍ، أَوْ غَيْرِ نَابِعَةٍ مِنَ الضَّمِيرِ الخُلُقِيِّ، وَمَا أَخْلَاقُ الْوَاجِبِ الَّتِي نَادَى بِهَا كَانُطُ فِي فِلْسَفَتِهِ الأخلاقية ضَمْنَ أَخْلَاقِ الْوَاجِبِ مِنْ أَجْلِ الْوَاجِبِ، إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ هَذَا الْقَوْلِ، حَيْثُ يَرَى أَنَّ السَّلُوكَ الأخلاقي النَّابِعَ مِنَ الْفَرْدِ يُعَدُّ وَاجِبًا ضَرُورِيًّا يَفْرُضُهُ الضَّمِيرُ الخُلُقِيُّ بَغْضَ النَّظَرِ عَنِ الإِعْتِبَارَاتِ الْخَارِجِيَّةِ وَقُوَّةِ الضَّغْطِ الإِجْتِمَاعِيِّ، يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ الْفِعْلَ الأخلاقي يَأْتِي مِنْ اسْتِقْلَالِيَّةِ الْفَرْدِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى أَلْزَامِ نَفْسِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ إِلْزَامِ الْآخَرِينَ<sup>(2)</sup>.

وَيَرَى كَذَلِكَ أَنَّ الْأَفْعَالَ الْخَيْرَةَ أخلاقيا يَجِبُ أَنْ تَتَمَّ بِدَافِعٍ مِنَ الإِلْتِزَامِ بِالْقَانُونِ الأخلاقي، وَلَيْسَ فَقَط لَأَنَّهَا مُطَابِقَةٌ لَهُ، هَذَا يَعْنِي أَنَّ الْقَصْدَ مِنْ وَرَاءِ الْفِعْلِ هُوَ مَا يَحْدَدُ قِيَمَتَهُ الأخلاقية، هَذَا مَا يَبْرِرُهُ قَوْلُهُ: « ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِنَ النَّاحِيَةِ الأخلاقية، لَا يَكْفِي فِيهِ أَنْ يَكُونَ مُطَابِقًا لِلْقَانُونِ الخُلُقِيِّ، بَلْ لَا بُدَّ لَهُ كَذَلِكَ

<sup>1</sup> - محمد بن عبد الله دراز، دستور الاخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 10، 1998، ص 23.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن عزي، نظرية الواجب الأخلاقي في الممارسة الإعلامية، دار المتوسطة للنشر، أريانة، تونس، ط 1، 2016، ص 15.

### الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

أن يحدث من أجله»<sup>(1)</sup>، وإذا أسقطنا هذا القول على واقع مهنة الطب، نعطي مثالا على ذلك: إذا ساعد الطبيب مريضا بدافع الواجب الأخلاقي الذي يمليه عليه الشعور الداخلي، فإن هذا الفعل يعتبر سلوكا أخلاقيا، بينما إذا ساعده بدافع الرغبة الشخصية، والمصلحة المادية، فلا يمكن عدّه حينها سلوكا أخلاقيا بالمعنى الكانطي.

فغياب الضمير الخلقي النابع من الذات تحت رعاية الوازع الديني يجعل الطبيب يتمرد على المنظومة الصحية، وقد لا يلتزم بالقوانين الوضعية؛ لذا نجد البعض متى أمن على نفسه من العقوبة يسارع الى مخالفة القواعد الأخلاقية، ولا يؤدي واجبه المهني على الوجه الأكمل، وقد يرتكب أخطاءً طبية بسبب الإهمال الطبي، كما أنّ انعدام الالتزام الأخلاقي يجعل الطبيب يقوم بسلوكات لا أخلاقية في محيط مهنته، وغايته في ذلك التحصيل المادي، دون مراعاة للواجبات والالتزامات الأخلاقية.

يتّضح أنّ الإلزام والوجوب في الأخلاق الطبية الغربية يستند على مرجعيات قانونية وضعية أكثر من إستناده على القيم الروحية، ممّا يجعله قابلا للتغير وفقاً للسياقات الاجتماعية والثقافية والعرفية، والسياسية والعرقية، بينما الإلزام والوجوب في الأخلاق الطبية الإسلامية هو جزء من التكليف الشرعي وليس تلبيةً لرغبة شخصية؛ أو مصلحة نفعية، الشيء الذي جعله أكثر استقرارا لا يتأثر بالظروف، وأكثر شمولية لآله يُراعي الجانب الدنيوي والأخروي، وأكثر عدالة لآله يحافظ ويدافع عن حقوق جميع المرضى دون تمييز أو عنصرية، لذلك يعتبر الالتزام الأخلاقي الطبي الإسلامي واجبا دينيا ومهنيا، وليس مجرد قواعد وتوصيات أخلاقية نظرية.

وتعتبر أخلاق الواجب الكانطية قريبة الشبه من الأخلاق الإسلامية في فكرة الوازع الديني، على اعتبار حضور التأثير الديني المضمّر في الفكر الأخلاقي عند كانط، رغم ذلك تبقى نسبية، فلا يمكنها أن ترقى الى مصاف الأخلاق الإسلامية،

<sup>1</sup> - إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة عبد الغفار مكاوي، مراجعة عبد الرحمن بدوي، منشورات الجمل، ط1، 2002، ص27.

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

فالتَّبيب المسلم يؤدِّي واجبه المهني إمتثالاً للواجب الدِّيني الرَّبَّاني راجياً الأجر والمثوبة من الله، أمَّا الطَّبيب غير المسلم حسب وجهة نظر كانط يؤدِّي مهامه إمتثالاً للواجب الأخلاقي الإنساني.

ومنه يجدر القول أنَّ الأخلاق الطَّبية في الفكر الغربي، ليس لها ضامنٌ ليلتزم بها الجميع لأنَّها توافقية من وضع البشر، أمَّا الأخلاق الإسلامية فهي شاملة لأنَّها توقيفية مستمدة من القرآن والسَّنة النَّبوية، وتوافقية عن طريق الإجتهد والإجماع والقياس في المسائل الطَّبية المستجدة التي لم يرد فيها نصٌّ شرعيٌّ.

### — المطلب الثالث: خاصية المسؤولية والجزاء.

تعدّ المسؤولية والجزاء خاصية مشتركة بين أخلاقيات الطب الإسلامية والغربية، إلَّا أنَّ هناك تباين واضح بين المنظومتين الأخلاقيتين؛ فالمسؤولية في منظومة أخلاق الطب الإسلامية مرتبطة بمسؤولية دينية، فالتَّبيب مسؤول عن أعماله الطَّبية، يتحمَّل نتيجة إلتزاماته وقراراته واختياراته العملية إيجاباً وسالباً، أمام الله أولاً، وأمام وازعه الدِّيني، وضميره الأخلاقي ثانياً، وأمام مجتمعه ثالثاً، والجزاء يكون إمَّا بالثَّواب أو العقاب، ويكون دنيوياً وأخروياً، الأمر الذي يجعل الطَّبيب المسلم يشعر بنوع من التَّكليف الشرعي والرقابة الذاتية، التي تلزمه بأداء مهامه دون تقصير.

وعليه فإنَّ الأساس الذي تقوم عليه المسؤولية الأخلاقية الطَّبية والجزاء في الإسلام هو الأساس الإيمانِي، انطلاقاً من الإلتزام بالشرع الإلهي، وأهليّة الشَّخص المسؤول للقيام بالمسؤوليات التي يلتزم بها في مهامه سواء بالإلزام أو إلتزام. ومقتضى ذلك أن يكون الطَّبيب مسؤولاً عن سلوكياته ونتائج تصرفاته، ممَّا يرجع على نفسه أو غيره بالنَّفع أو الضَّرر، فالمسؤولية في الأخلاق الطَّبية الإسلامية ليست مقتصرة على المسؤولية الدنويّة فقط ونتائجها من حيث المكافأة والجزاء، بل إنَّ المسؤولية الحقة هي

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

المسؤولية الأخروية التي ينال فيها الشخص نتائج مسؤوليته بصورة عادلة، لأنَّ الجزء يصدر من قوّة عادلة وهي الله (1).

ومنه نجد أنَّ منظومة أخلاق الطبيب في الإسلام وثيقة التعلّق بخاصية المسؤولية والجزاء، فالطبيب عليه مسؤولية كاملة أمام الله تعالى، فيُجازى بالثواب إن أحسن التطبيق في الممارسة الطبية، ويعاقب إن أهمل أو فرط في واجباته المهنية والتزاماته الطبية، أو تسبب في إلحاق الضرر بالمرضى.

فالأخلاق الإسلامية شديدة الحرص على تربية الطبيب تربية خلقية دينية، تعزّز لديه دوافع داخلية للإلتزام بالأخلاق الطبية، والشّعور بالرقابة الالهية التي تغنيه عن الرقابة الخارجية، كما هو موجود في الأنظمة الوضعية. ذلك أنَّ الأخلاق النابعة من الشريعة من الإسلامية تضع الجزء الأخروي مقدّمًا على الجزء الدنيوي، جاعلة الهدف الوحيد من ذلك نيل الثواب والنّجاة من العقاب، والباعث نابع من الوازع الديني المرتبط بالخوف أو الرجاء، ولهذا تضحى الإستقامة الخلقيّة عملاً روحياً مجرداً من الغايات النفعية (2).

أمّا المسؤولية والجزاء في منظومة إخلق الطبيب في الفكر الفلسفي الغربي فهي تركّز على نتيجة الأفعال والجزاء الدنيوي، حيث يتحمّل الطبيب نتائج أفعاله ويعاقب على الخطأ بعد الخضوع للمساءلة أمام القانون والمجتمع، والجزاء غير ثابت وغير دائم، فيتغيّر بتغير الظروف والحكومات أو إلغاء القوانين أو تغييرها، مسايرة لعادات وأعراف المجتمع.

فالطبيب في الفكر الفلسفي الغربي يؤدّي واجبه ويتحمّل مسؤولية أعماله بالثواب أو العقاب طبقاً لما ينصّ عليه القانون الوضعي، فهو لا يعترف بالثواب

<sup>1</sup> - مقداد يالجن محمد علي، علم الأخلاق الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط2003، ص252.

<sup>2</sup> - محمد الله دراز، كلمات في مبادئ الأخلاق، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2021، ص30.

### الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

والعقاب الأخروي، كما لا يؤمن بوجود جنة أو نار ولا بوجود حياة بعد الموت، بل يؤمن بما يحققه من أهداف وغايات يجني ثمار نتائجها في الواقع، ويكون جزاؤها إما مكافأة معنوية كالشهرة والسمعة وعلو المقام، أو بمكافأة مادية، أو ترقية في سلم الرتب، وهذه كلها أجزية أدبية عاجلة في هذه الحياة (1).

بينما الطبيب المسلم يلتزم بواجباته المهنية ليس حفاظاً على سمعته، أو طلباً للتّحصيل المادي أو الإعراف الإجتماعي، أو خوفاً من العقاب، بل الغاية المثلى من وراء ذلك تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى من خلال الإلتزام بأوامره واجتناب نواهيه قاصداً الرضى والفلاح في الدنيا والآخرة (2).

يُعتبر الأطباء في الفكر الغربي مسؤولون عن أفعالهم أمام القانون وواجب عليهم الإلتزام بالقوانين واللوائح المنظمة للممارسة الطبية، والجزاء يقتصر على التعويض المالي، أو العقوبات القانونية كالغرامات المالية أو السجن، وعلى العكس من ذلك فالمسؤولية والجزاء في الفكر الإسلامي تتعدى الإلتزام باللوائح والقوانين الوضعيّة، فالأطباء مسؤولون أمام الله تعالى، ويجب عليهم العمل بمقتضى مقاصد الشريعة الإسلامية في ممارسة الطب، والجزاء زيادة على العقوبات الماديّة المتمثلة في الغرامات والتعويضات الماليّة أو السجن، هناك عقوبات جسديّة تتمثل في تطبيق الحدود الشرعية على الطبيب الجاني، كما أنّ هناك عقوبات رويّة مثل أداء الكفارة بالصيام أو الصدقة وتأنيب الضمير.

من خلال التطرق الى بعض النقاط الجوهرية التي تميّز منظومة الأخلاق الطبية الإسلامية عن نظيرتها في الفكر الفلسفي الوضعي الغربي، نستنتج أنّ المنظومة الإسلامية أفضل وأكمل وأصلح للمجتمع البشري، ذلك كونها تستند على

<sup>1</sup> - محمد الله دراز، مرجع سابق، ص30.

<sup>2</sup> - محمد السامعي، أخلاقيات المهن الصحية، كلية الجزيرة للعلوم الصحية، ص8.

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

المصدر الربّاني الذي تسمتدّ منه شرعيّتها وقيمتها الأخلاقية من نصوصه، لهذا السبب فهي تعتبر نافذة في التطبيق بشكل إرادي، يأتي العمل بها تلقائياً من قبل الطبيب ذو الشخصية السوية، تطبيقاً لتعاليم الدين الإسلامي دون الحاجة الى فرض الرقابة القانونية، أمّا الطبيب صاحب الشخصية غير السوية فإنّ الوازع الديني والضمير الأخلاقي غير كافيين، لعدم وجود رادع غير تأنيب الضمير في الدنيا، وعقاب الله في الآخرة، وهذه الأخلاق الروحية قد لا يلتزم بها الجميع ولا يمكن التّعويل عليها، لذلك وجب الإستعانة بالقوانين الوضعية<sup>(1)</sup>، التي هي الأخرى جديرة بالإحترام والتّنفيد في مهنة الطب، لأنّ القوانين واللوائح السائدة في المجتمعات الإسلامية تساعد بشكل جليّ وواضح في فرض النظام الأخلاقي وتطبيق التعليمات، كما تُسهم بشكل كبير في تنفيذ المواثيق الأخلاقية واحترام الأخلاقيات، والحدّ من المخالفات والأخطاء المهنية.

يتفق هذا الأمر- لتحصيل النّقاط الإيجابية - أن يقوم الطبيب بتأدية واجبه نحو الأفراد بمسؤولية كاملة، عملاً بما حثّت عليه الشريعة الإسلامية في الجانب الإنساني المرتبط بالمعاملات، الى جانب العمل بما يقتضيه التشريع القانوني من إلتزامات أخلاقية مهنية، كل هذا من أجل الإرتقاء بالخدمات الطبية والتقليل من احتمال الوقوع في التّجاوزات والأخطاء الطبية.

### المبحث الثالث: توصيات عامة حول أخلاقيات الطب.

تعتبر أخلاقيات الطب جزءاً لا يتجزأ من الممارسة الطبية لضمان تقديم رعاية صحيّة عادلة وإنسانية محترمة لحقوق المرضى، من خلال الإلتزام بأخلاقيات الطب، قصد تعزيز الثقة بين المرضى والمهنيين في القطاع الصحي، لتحقيق جودة الرعاية الصحيّة، وسعيًا منا لإبراز أهمية الأخلاقيات الطبية إرتأينا في هذا المبحث عرض ملخص وجيز لأهم المبادئ الأخلاقية التي تضمّنتها المواثيق والمصادر

<sup>1</sup> - منى أحمد علي أحمد عمر الجبوشي، لمحة تاريخية للمسؤولية الطبية بين الشريعة والقانون، مقال ضمن

مجلة البحوث الفقهية والقانونية، العدد 46، يوليو 2024، ص 963 .

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

العالمية والإسلامية، كالمُدونة الدولية لأخلاقيات الطب، والميثاق الإسلامي العالمي لأخلاقيات الطب والصحة على شكل توصيات.

- **المطلب الأول: ملخص توصيات المدونة الدولية لأخلاقيات الطب.**

وضعت الجمعية الطبية العالمية مدونة أخلاقيات الطب التي تعتبر مرجعا عاما للمبادئ الأخلاقية لممارسي مهنة الطب حول العالم، بهدف تحديد الواجبات المهنية للأطباء تجاه المرضى وزملائهم، والعاملين في المجال الصحي والمجتمع برُمته.

هذه المدونة تلزم الطبيب بأن يكون على علم واسع، وإطلاع شامل على القواعد الأخلاقية، والقوانين التنظيمية المحلية، والدولية المعمول بها في المنظومة الصحية، لذلك ينبغي على الطبيب تفحص ما تضمنته هذه المدونة، وتطبيق كل المبادئ الأخلاقية التي أقرتها، وفيما يلي عرض يلخص أهم المبادئ الأخلاقية التي وردت في المدونة الدولية<sup>(1)</sup>:

✓ - الحرص على حماية صحة المرضى، وتعزيز رفاهيتهم من خلال تقديم الرعاية الكاملة في الوقت المناسب، مع احترام خصوصية المريض واستقلاليته، والإعتراف بحقوقه كاملة.

✓ - على الطبيب أن يكون عادلا ومنصفا في الممارسة الطبية، بأن يؤدي واجبه دون تحيز، أو تمييز على أساس الدين، والعرق، أو الجنس، أو الثقافة، أو المكانة الاجتماعية.

✓ - على الطبيب أن يمارس عمله بحضور الضمير، وصدق الأمانة في العمل، مع الحفاظ على أعلى معايير النزاهة في السلوك المهني.

<sup>1</sup> - رامين والتر بارسي، المدونة الدولية لأخلاقيات الطب للجمعية الطبية العالمية، الجمعية العامة الثالثة والسبعين، المجلد 328، رقم 20، برلين، ألمانيا، أكتوبر 2022.

### الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

- ✓ - على الطبيب أن يقدم مصلحة المريض على مصلحته الشخصية، ولا يسعى لتلبية مصالحه الذاتية، أو مصالح مؤسسته على حساب مصلحة المريض.
- ✓ - يجب على الطبيب تحمّل المسؤولية الكاملة في اتخاذ القرارات، وتحمل الجزاء.
- ✓ - تقديم المساعدة الطبية في الحالات الإستعجالية أولوية قصوى واجبة على الطبيب.
- ✓ - يمنع منعاً مطلقاً مشاركة الطبيب في ممارسة أعمال التعذيب، أو العقوبات القاسية واللاإنسانية.
- ✓ - يتحتم على الطبيب تطوير مهاراته العلمية وكفاءته المهنية بالتعلم والتكوين المستمر، وعن طريق المشاركة في المؤتمرات والدورات الطبية والعلمية.
- ✓ - على الطبيب أن يستشير المريض في اتخاذ القرارات الخاصة به، وتقديم جميع المعلومات المتعلقة بحالته الصحية، إلا في حالات الطوارئ التي يتعذر فيها على المريض تمييز القرار المناسب، في هذه الحالة يجوز للطبيب أن يتدخل ويتخذ القرار نيابة عن المريض دون استشارة.
- ✓ - يجب على الطبيب الإهتمام بالتوثيق الطبي والتأكد من دقة معلوماته.
- ✓ - الإلتزام بالسرية الطبية، وعدم إفشاء أسرار المريض إلا بموافقه، أو في حالة الضرورة القصوى كالأمراض المعدية على سبيل المثال.
- ✓ - يمنع على الطبيب إصدار إعلانات غير مناسبة، أو تسويقها وإن تمّ ذلك فيجب أن تكون المعلومات المعلنة واقعية وغير مضلّة.
- ✓ - يمنع على الطبيب إقامة علاقات لا أخلاقية مع مرضاه، كالعلاقات الجنسية مثلاً، وأن لا يمارس سلوكيات مسيئة أو استغلالية لمرضاه، بل يمارس علاقة مناسبة في حدود مهنته فقط.

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

✓ - يجب التعامل مع الزملاء والموظفين في القطاع الصحي باحترام وتعاون، وعدم التدخل في صلاحيات زملائه إلا بعد إلتماس موافقتهم.

- **المطلب الثاني: ملخص توصيات الميثاق الإسلامي العالمي لأخلاقيات الطب.**

الميثاق الإسلامي العالمي للأخلاقيات الطبية والصحية هو وثيقة أساسية تحدد المبادئ الأخلاقية التي يجب على الأطباء وموظفي الرعاية الصحية المسلمين الإلتزام بها في ممارساتهم الطبية، وتهدف هذه الوثيقة الى تحديد المبادئ السامية والقيم العالية التي يجب أن يلتزم بها الطبيب المسلم ويسير على ضوئها في إطار أخلاقي، يضمن الجودة والفعالية في تقديم الرعاية الصحية وفقا للقيم والمبادئ الإسلامية.

ومحتوى ما تضمنه هذا الميثاق عبارة عن توصيات ومبادئ أخلاقية، تمت صياغتها على شكل مواد قانونية، ينبغي على الطبيب المسلم الإطلاع عليها والعمل بمقتضاها، وهذه التوصيات نجلها بتصرف في الملخص التالي<sup>(1)</sup>:

✓ - يجب على الطبيب الإخلاص في العمل والتحلي بمكارم الأخلاق، والإعتراف بفضل أساتذته وجهود زملائه في المهنة، مع الحرص على حفظ صحته وحسن مظهره وهياته، وتجنب كل ما يقلل من احترامه داخل محيط العمل أو خارجه.

✓ - على الطبيب أن يكون متواضعا مع المريض، يستمع لشكواه بإمعان مع الرفق به أثناء الفحص، بغض النظر عن ديانته، أو عرقه أو جنسه، أو مكانته الاجتماعية والعلمية.

✓ - على الطبيب أن يتقي الله ويخشاه في معاملاته مع المرضى، ويتجنب المخالفات الشرعية كالخلوة والإنفراد بالمريض من جنس آخر، أو الكشف عن العورات، إلا بالقدر الذي يقتضيه التشخيص.

<sup>1</sup> - منظمة الصحة العالمية، الميثاق الإسلامي العالمي للأخلاقيات الطبية والصحية، اللجنة الإقليمية للشرق المتوسط، الدورة الثانية والخمسون، أيلول- سبتمبر 2005.

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

- ✓ - على الطبيب أن يتقيد بما تتطلبه الحالة المرضية للشخص، دون استخدام طرق علاجية غير معتمدة.
- ✓ - على الطبيب تحري الصدق عند إعلام المريض، أو من ينوب عنه بحالته المرضية ومضاعفاتها، بالقدر الذي تسمح به حالة المريض الجسمية والنفسية.
- ✓ - على الطبيب توثيق كل ما يخص الحالة الصحية للمريض بتسجيل المعلومات الخاصة بسيرته المرضية، وتزويده بالسجل الطبي عند توجيهه الى طبيب آخر.
- ✓ - على الطبيب الإسراع في تقديم الرعاية الصحية للحالات الطارئة، ولا يجوز له الإمتناع عن تقديم العلاج مهما كانت حالة المريض، إلا برفض منه.
- ✓ - على الطبيب أن يوظف مهاراته العلمية وخبرته المهنية في تخفيف آلام المريض وزرع الأمل في ذوي الأمراض المزمنة والمستعصية، وتزويدهم بمعلومات كافية تساهم في التكيف مع المرض.
- ✓ - على الطبيب استشارة المريض في اتخاذ القرار الخاص بحالته المرضية، إلا في الحالات الطارئة يتجاوز إذن المريض وينفرد باتخاذ القرار المناسب.
- ✓ - إلزام الدقة في التشخيص والفحص، ووصف الدواء المناسب للمرض، مع تحديد الجرعة وطريقة الإستعمال، دون إغفال التنبيه الى آثاره الجانبية المتوقعة.
- ✓ - على الطبيب أن يكون مؤهلا لإجراء العمليات الجراحية في اختصاصه، مع التأكد من توفر الشروط اللازمة لها.
- ✓ - على الطبيب مصارحة المريض بالآثار الناجمة عن رفض العلاج بصدق، وعدم إرغامه على التوقيع على بيانات في الملف الطبي دون رضاه، وفي حالة رفض المريض العلاج يُدَوّن الطبيب تقريراً ويوقع عليه مع شاهد ويوضع في الملف.

## الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

- ✓ - لا يجوز للطبيب أن يكون سببا في موت المريض، أو المساهمة في إنهاء حياته، كاللجوء الى القتل الرحيم، إلا في بعض الحالات المسموح بها شرعا كالإجهاض حفاظا على صحة الأم إذا ثبت الضرر مع استمرار حياة الجنين.
- ✓ - أن لا يكون مشاركا أو متواطئا، أو محرّضا في عمليات التعذيب والسلوكات اللاإنسانية، أو ساكتا عنها، بل يجب عليه أن يقوم بتبليغ السلطات المعنية.
- ✓ - يجب على الطبيب حفظ أسرار المرضى، وإن كانت معلومات ينبغي البوح بها من أجل تقديمها لأطراف أخرى، كالباحثين أو شركات الأدوية، فيجب أخذ الموافقة من المريض، كما يجوز للطبيب الإدلاء بمعلومات عن حالة المريض لشركات التأمين.
- ✓ - يجب على الطبيب أن لا يدّخر أيّ جهد في توظيف طاقاته وإمكاناته لتقديم المنفعة الصحية لمجتمعه، ويساعد في تعزيز الصحة والوقاية الاجتماعية.
- ✓ - على الطبيب أن يحافظ على الموارد الصحية، المادية والبشرية مع حسن استعمالها.
- ✓ - يجب على الطبيب أن لا يجعل الربح المادي غاية في أداء الواجب المهني من خلال استغلال الوضع الصحي الحرج للمريض.
- ✓ - لا يجوز للأطباء وسائر عمال الصحة المشاركة في عملية نقل الأعضاء، سواء من الموتى أو الأحياء إذا ثبت أنها لغرض المتاجرة، أمّا إذا كان الغرض من نقلها المساعدة على الحياة، فيجب على الطبيب أخذ موافقة مكتوبة من قبل الطرفين.
- ✓ - يجب على الطبيب التبليغ عن حالات العنف التي يطلع عليها أثناء تأدية مهامه.
- ✓ - على الطبيب أن يحرص على بناء علاقات حسنة مع زملائه عمادها المعاملة الحسن.

### الفصل الثالث — مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي

✓ - من حق الطبيب أن يحضى بالإحترام والتقدير، وأن تتوفر له الظروف الملائمة لأداء مهامه في أريحية، وعدم مطالبته أو إرغامه على القيام بأفعال مخالفة للقانون والأخلاقيات الطبية، وأن تتاح له فرصة متابعة التكوين .

## خاتمة:

من خلال الجهد المبذول للإجابة عن تساؤلات إشكالية البحث المطروحة، خلصنا الى أن أخلاقيات الطب تعدُّ الدَّعامة الأساسية التي تقوم عليها الممارسات الطبّية، والمعيّار الذي يوجّه السّلوّك المهني للأطباء والعاملين في مجال الرّعاية الصّحية، من أجل تقديم أفضل رعاية صحيّة وإنسانيّة للمرضى، عن طريق احترام وتقديس المبادئ الأخلاقية المتعلّقة بمهنة الطبّ، وتوصّلنا الى أنّ مسألة الأخلاق الطبّية ليست حديثة النشأة، بل عرفت تطوّرات وتحولات كبيرة عبر العصور، فقد اهتمّت بها الحضارات القديمة، رغم أنّ ممارستها كانت ممزوجة بأعمال السّحر والشّعوذة والأوهام؛ متأثرة بالأفكار الفلسفية الميتافيزيقية الممزوجة بالفكر اللاهوتي، وبالقيم الدّينية، إلّا أنّها أحاطتها بمجموعة من القواعد والآداب الأخلاقية التي تحكم الممارسة الطبّية، متمثلة بالتّحديد في قسم أبقرات الشّهير، الذي يعدّ أوّل اطار مكتوب لأخلاقيات الطبّ في التّاريخ الانساني.

ولقد ساهم الأطباء المسلمون في عهد الحضارة الإسلامية بوافر الإنجازات والإبتكارات في المجال الطبّي، حيث اهتموا إهتماماً بالغاً بتأطيره وفق قواعد وأطر أخلاقية تستلزمها هذه المهنة الجليلة، من أمثال أبي بكر الرّازي، واسحاق بن علي الرّهّاي، اللّذين حوّرّا مبادئ أبقرات لتتوافق مع الشّريعة الإسلامية، فكانا قدوة حسنة ومثالا يُحتذى به في آداب وأخلاقيات الطبّ، من خلال ما دوّنه الرّازي في كتابه "أخلاق الطّبيب"، والرّهّاي في كتاب "أدب الطّبيب"، هذا الأخير استفاض في تفصيل المبادئ الأخلاقية للطّبيب وعلاقته بالمرضى، وتحديد الشّروط اللّازمة لممارسة مهنة الطبّ، مركزاً على تنظيم حقوق وواجبات الأطباء بشكل منهجي، مُنتهجاً في ذلك قوّة الإستدلال المُستند على الجمع بين الأخلاق المستمدّة من الشّريعة الإسلامية، وسعة ثقافته الفكرية والعلمية، مؤكّداً على أهميّة أن يكون لدى الطّبيب التزام أخلاقيّ

بالآداب، والتزام روعي بالأمانة وصدق الاعتقاد، كما أشار الى أهمية الخضوع للإمتحان للتأكد من أهلية وكفاءة الأطباء لممارسة مهنة الطب، هذه المبادئ تعكس رؤية الزهاوي المتقدمة لتنظيم مهنة الطب وضمان جودة الرعاية الصحية.

بعد عرض أفكار الزهاوي وتوجهاته الأخلاقية المتعلقة بتنظيم آداب وقواعد أخلاقيات مهنة الطب، انتقلنا الى عمل مقارنة بشكل وجيز لأخلاقيات الطب في الفكر العربي الإسلامي ونظيرتها في الفكر الغربي، اتضح من خلالها أن هناك قواسم مشتركة بين المنظومتين الأخلاقيتين في المبادئ العامة المتمثلة في احترام حياة الإنسان وكرامته، وعدم إيذائه، وحفظ السرية الطبية للمريض، مع تقديم الرعاية الصحية لجميع المرضى بعدالة، تحقيقاً لمبدأ المساواة بين المرضى، أما أوجه الاختلافات الجوهرية فتكمن في مصادر التشريع، حيث أن الأخلاق الطبية في التراث الإسلامي مستمدة من مصادر الشريعة الإسلامية القرآن والسنة، وتتسم بالديمومة والثبات، بينما الأخلاق الطبية الغربية مستمدّة من الفلسفة الإنسانية والقوانين الوضعية الخاضعة للتغيير والتعديل.

وسعياً منا لإثراء الموضوع أكثر إرتأينا إدراج بعض التوصيات المنبثقة عن المصادر والمواثيق العالمية والإسلامية المهمة بأخلاقيات الطب، بغرض إبراز أهمية الإلتزام بأخلاقيات الطب وحماية المرضى والمجتمع من بعض السلوكات اللاأخلاقية الدخيلة على مهنة الطب.

إنّ أخلاقيات الطب ليست مجرد مفاهيم وشعارات تتردّد على الشّفاه، يُنَعْنَى بها في المحافل الدولية ومنظمات حقوق الإنسان، كما أنّها ليست مجرد مواد وقوانين نظرية تُوثّق في صفحات الكتب والمجلّات، أو لوائح تُعلّق على جدران المؤسسات الإستشفائية، بل هي إنعكاسات للضمير المهني، والأخلاقي والإنساني، والمشكاة التي تتير مسار ممتهني الرعاية الصحية، والدّرع الحامي لحقوق المرضى.

قائمة المصادر والمراجع:

- الكتب المقدسة:
- القرآن الكريم.
- الأحاديث النبوية الشريفة:
- أبو داود سليمان ابن الأشعث بن إسحاق، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج4، رقم الحديث 4207.
- ثانيا : المصادر
- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط1، 1977.
- الحسين بن علي بن سينا، القانون في الطب ج1، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 1999م.
- إسحاق بن علي الرهاوي، أدب الطبيب، تحقيق مرزبن سعيد مرزبن عسيري، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، الرياض، السعودية، ط1، 1992.
- ثالثا : المراجع
- أبو بكر الرازي، الطب الروحاني، تحقيق عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية، 1987.
- أبو الفتح ألبستي، قصيدة عنوان الحكم، تحقيق وشرح عبدالفتاح أبو غدة، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1404هـ.
- أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي المتطبب، كتاب جالينوس في فرق الطب للمتعلمين، تحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978.

- ابن أبي أصيبعة، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، تحقيق عامر النجار، دار المعارف، ج1، ط1، 1996.
- ابن أبي أصيبعة، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ج1، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- أحمد الشريف، الأخلاق الطبية، دار الكتب العلمية، تعز، الجمهورية اليمنية، ط2، 2011.
- أحمد رجائي الجندي، عجيل جاسم النشمي، توصيات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، سلسلة مطبوعات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، الكويت، ط1، 2024.
- الدوميلي، العلم عند العرب وأثره في تجربة العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى، دار القلم، جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1962م.
- القلسي عبد الرزاق، الإكتئاب والطب النفسي في الحضارة العربية الإسلامية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 1436هـ/2015م.
- ايمانويل كانت، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة عبد الغفار مكاي، مراجعة عبد الرحمن بدوي، منشورات الجمل، ط1، 2002.
- أمير محمد المدري، أخلاقيات المهن الطبية، معهد العلوم والتكنولوجيا التطبيقي، المهرة، اليمن، ط1، 2022.
- إسحاق بن حنين، تاريخ الأطباء والفلاسفة، تحقيق فؤاد سيّد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ-1985م.
- إسلام محمود أحمد، أخلاق مهنة الطب عند مذهب الدين ابن هبل البغدادي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

- جان شارل سورنيا، تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص، ترجمة ابراهيم البجلاتي، مطابع السياسة، الكويت، 2002.
- جمال بن صالح الجار الله، أخلاقيات الطب، كلية الطب، جامعة الملك سعود، ط1، 2022.
- جورج طرايشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3.
- جون ويليمز، كتاب الأخلاقيات الطبية، ترجمة محمد الصالح بن عمار، جمعية الطب العالمية، 2005.
- جعفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993.
- ويل وايزيل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بران، ج2، مجلد2، الكتاب الثالث، بيروت.
- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط 8، دار الجبل، بيروت، 1993.
- حسان شمسي باشا، محمد علي البار، الأخلاقيات الحيوية الغربية والإسلامية، مجلة ابن سينا الطبية، جدة، المملكة العربية السعودية، يناير - مارس 2013.
- يعقوب المليحي، الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1985.
- كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال، بدون طبعة.
- محمد بن المختار بن محمد الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، جدة الشرقية، ط2، 1994.
- محمد بن لطفی الصَّبَّاح، أخلاق الطبيب، جمعية الكتاب والسنة، الأردن، ط3، 2011.

- محمد بن عبد الله دراز، دستور الاخلاق في القرآن ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 10، 1998.
- محمد الله دراز، كلمات في مبادئ الأخلاق، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2021.
- محمد السامعي، أخلاقيات المهن الصحية، كلية الجزيرة للعلوم الصحية.
- مقداد يالجن محمد علي، علم الأخلاق الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط 2، 2003.
- مصطفى غالب، ابقرط ، منشورات دار مكتبة الهلال.
- عبد الله عبد الرازق مسعود السميد، نشأة الطب، دار الفكر للنشر والتوزيع، ساحة الجامع الحسين، عمان، الأردن، 1985.
- عبد الرحمان عزي، نظرية الواجب الأخلاقي في الممارسة الإعلامية، دار المتوسطة للنشر، أريانة، تونس، ط 1، 2016.
- عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي، 2014.
- علي حسن غلوم علي، أخلاقيات الطب وآدابه، سلسلة إصدارات جامعة البيان، دار الكتب والوثائق، بغداد، العراق، 2018.
- علي ابن رضوان المصري، الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب، تحقيق كمال السامرائي، مطبعة جامعة بغداد، 1986.
- قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي، بيان الحاجة الى الطب والأطباء، تحقيق أحمد فريد المزيدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2009.

- شريعة حمورابي، ترجمة محمد الأمين، دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، ط1، 2007
- رابعا : المجلات
- هناء محمود عبد المجيد محمد، أخلاق الطبيب بين الفكر الفلسفي الغربي والفكر الإسلامي، دراسة مقارنة ضمن مجلة كلية أصول الدين والدعوة ، الجزء 4، العدد 40، أسيوط، مصر، 2022.
- منى أحمد علي أحمد عمر الجيوشي، لمحة تاريخية للمسؤولية الطبية بين الشريعة والقانون، مقال ضمن مجلة البحوث الفقهية والقانونية، العدد 46، يوليو 2024.
- منظمة الصحة العالمية، الميثاق الإسلامي العالمي للأخلاقيات الطبية والصحية، اللجنة الإقليمية للشرق المتوسط، الدورة الثانية والخمسون، أيلول-سبتمبر 2005.
- قدور كرومي: الأخلاق الطبية عند المسلمين، مجلة الباحث، مجلد 12، العدد 18، جوان 2018، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.
- رامين والتر بارسي، المدونة الدولية لأخلاقيات الطب للجمعية الطبية العالمية، الجمعية العامة الثالثة والسبعين، المجلد 328، رقم 20، ، برلين، ألمانيا، أكتوبر 2022.
- خامسا : الموسوعات والمعاجم
- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول أ . نشر أدب الحوزة، إيران، 1405هـ.
- ب. يُودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة بيروت، ط1، 1985.

- منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، 1992.
- محمد علي البار وآخرون، موسوعة أخلاقيات مهنة الطب، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ط1، 2012.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1982.

## مقدمة.

الفصل الأول: مفهوم أخلاقيات الطب، وتطورها التاريخي.

المبحث الأول: مفهوم الطب وأخلاقياته.....	10
المطلب الأول: مفهوم الطب لغة، واصطلاحاً.....	10
المطلب الثاني: مفهوم أخلاقيات الطب.....	12
المطلب الثالث: أهمية أخلاقيات الطب.....	14
المبحث الثاني: التطور التاريخي لأخلاقيات الطب.....	15
المطلب الأول: أخلاقيات الطب في الحضارة المصرية القديمة.....	15
المطلب الثاني: أخلاقيات الطب في بلاد الرافدين.....	17
المطلب الثالث: أخلاقيات الطب في الحضارة اليونانية.....	19
المطلب الرابع: أخلاقيات الطب في الحضارة الإسلامية.....	23

الفصل الثاني: أخلاقيات الطب عند إسحاق بن علي الرهاوي.

المبحث الأول: حياته المولد والنشأة، عصره، ثقافته ومؤلفاته.....	30
المطلب الأول: حياته: المولد والنشأة.....	30
المطلب الثاني: عصره.....	30
المطلب الثالث: ثقافته ومؤلفاته.....	32
المبحث الثاني: مبادئ الطبيب عند الرهاوي.....	33
المطلب الأول: الآداب، والأمانة والإعتقاد.....	35
المطلب الثاني: اعتدال قوى النفس.....	38
المبحث الثالث: شروط ممارسة الطب عند الرهاوي.....	40

المطلب الأول: الصحة البدنية والنفسية والعقلية للطبيب.....	40
المطلب الثاني: العلم بالمحاذير والمخاطر الطبية.....	43
المطلب الثالث: إمتحان الطبيب وموضوعاته.....	45
<b>المبحث الثالث : واجبات وحقوق الطبيب .....</b>	<b>48</b>
المطلب الأول: واجبات الطبيب.....	48
المطلب الثاني: من حقوق الطبيب.....	53
<b>الفصل الثالث: مقارنة بين أخلاقيات الطب في الفكر الإسلامي والغربي.</b>	
<b>المبحث الأول: مقارنة من حيث الطبيعة والمصدر.....</b>	<b>58</b>
المطلب الأول: مقارنة من حيث الطبيعة.....	59
المطلب الثاني: مقارنة من حيث المصدر.....	60
<b>المبحث الثاني: مقارنة من حيث الخصائص.....</b>	<b>62</b>
المطلب الأول: خاصية الديمومة والثبات.....	62
المطلب الثاني: خاصية الإلزام والوجوب.....	65
المطلب الثالث: خاصية المسؤولية والجزاء.....	68
<b>المبحث الثالث: توصيات عامة حول أخلاقيات الطب.....</b>	<b>71</b>
المطلب الأول: ملخص توصيات المدونة الدولية لأخلاقيات الطب .....	72
المطلب الثاني: ملخص توصيات الميثاق الإسلامي العالمي لأخلاقيات الطب.....	74
<b>الخاتمة.....</b>	<b>78</b>
<b>قائمة المصادر والمراجع: .....</b>	<b>80</b>
<b>فهرس الموضوعات: .....</b>	<b>87</b>